الملامح النقدية

في

التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية

إعـــداد الدكتور

الحسن عبد اللطيف محمد اللاوي

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم الفتاح العليم، وصلّ اللهم على سيدنا محمد الفاتح لِمَا أُغْلِق و الخاتِمِ لِمَا سَبَق، وعلى آله الأطهار، وعلى أصحابه الأخيار، وعلى جميع الصالحين والأبرار.

وبعـد

غلب على دراسة تراثنا النقدي العربي الوقوف عند اللمحات النقدية التي دارت حول الشعر، وقلّ الوقوف عند تلك التي دارت حول النثر، ولم يكن البحث عن اللمحات النقدية في كلام النبي ﷺ بدعا من ذلك؛ إذ توقف الباحثون عند أقواله وآرائه في الشعر، وقَلّ توجُّه عنايتهم إلى البحث عن اللمحات النقدية النبوية التي توجهت إلى النثر، من ثم يريد هذا البحث أن يتوجه إلى تلك اللمحات، متخذا من تصويبات النبي ﷺ لبعض لأخطاء التي وردت في بعض أقوال أصحابه –رضي الله عنهم– زادا في هذه الرحلة المباركة، من أجل إماطة اللثام عن بعض الملامح النقدية لتلك التصويبات، ليزداد الذين آمنوا بأصالة تراثنا النقدي إيمانا.

ورجعت إلى كتب الحديث المعتبرة عند أهل هذا الفن لأطل منها على تلك التصويبات، متحريا فهم هذه التصويبات من خلال كتب شروح الحديث، واستشهدت ببعض ما جاء في تلك الكتب، مع التعقيب علي تلك الشواهد، والاختيار منها أو الترجيح بينها عند الاختلاف مستأنسا بالدليل في ما أختاره أو أرجحه.

وكذلك من خلال الاستقراء المتأني لنصوص تلك التصويبات في ضوء ما تقتضيه اللغة وترتضيه، مع مزيد العناية بالملامح النقدية في تلك النصوص، وقد تتعدد الملامح النقدية في النص الواحد مما يستدعي إعادة ذكره أو ذكر بعضه تلبية لحاجة الموضوع.

وقد راعيت في كل ذلك ضبط النصوص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية الواردة في هذا البحث، مع ذكر رقم الآية والسورة التي وردت فيها، وعزو كل نص إلى مصدره.

وعند تعدد آراء العلماء وتنوعها أو اختلافها كنت أوثر ذكرهم في المتن حتى يعلم القارئ صاحب كل رأي ومن تابعه ومن اختلف معه عند وجود الاختلاف، وفي غير ذلك كنت اكتفي بالإشارة في الهامش إلى المصدر الذي اقتبست منه، ليُعلم من خلاله صاحب الكلام، وراعيت وضع كل النصوص المقتبسة بين علامتي تنصيص، وأشرت إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها في الهامش، مكتفيا بذكر البيانات كاملة عند أول اقتباس.

ويحتوى هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

تتناول المقدمة:

أسباب اختيار الموضوع، وأهم ملامح منهج دراسته، وخطة السير فيه.

ويتناول الفصل الأول:

أبرز اتجاهات التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نقد الكلمة.

المبحث الثاني: نقد الأسلوب.

المبحث الثالث: نقد الصورة.

ويتناول الفصل الثاني:

أهم الأهداف النقدية التي راعتها التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : رعاية حال المتكلم.

المبحث الثاني: رعاية حال المخاطب.

المبحث الثالث: رعاية المقام الذي قيل فيه الكلام.

المبحث الرابع: رعاية العرف اللغوي.

ويتناول الفصل الثالث:

تصويبات نبوية قد توهم تعارضا مع أحاديث أخرى.

وفيه عرض للأحاديث التي وردت فيها التصويبات والأحاديث التي قد توهم التعارض، مع بيان الأسباب الموهمة للتعارض بينها، وبيان درء ودفع هذا التوهم.

وتتناول الخاتمة:

بيان أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

مع فهرس لأبرز المصادر والمراجع التي أفاد منها هذا البحث، وفهرس للموضوعات.

والله -سبحانه وتعالى- أسأل، وبنبيِّه ﷺ أتوسَّل، أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنِّبنا بفضله الزَّلَل، وأن يُحْسِن ختامَنا عند حضور الأجل.

الفصل الأول
أبرز اتجاهات التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية

تنوعت الاتجاهات التي توجَّهت إليها التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية حتى تكاد تشمل كل معالم العبارة من كلمة وأسلوب وصورة، وفيما يلي نقف مع كل اتجاه من تلك الاتجاهات التي وجهت إليها التصويبات النبوية نقداتها تصويبا وتهذيبا، تقييما وتقويما.

أولا: نقد الكلمة

الكلمة وحدة بناء النص واللبنة التي يتكون منها بنيانه، ولأجل أن يكون البناء سليما قويا متينا فلابد أن تكون لبناته كذلك، من هنا حرص رسول الله ﷺ على سلامة وصلاحية كلمات أصحابه -رضي الله عنهم-، فنجده يصوب منها ما يراه محتاجا إلى تصويب، ويقوم ما يراه محتاجا إلى تقويم.

من الأمثلة على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي»[1]

---

١ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري (٨/ ٤١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصرالناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ- = صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٥) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. بدون تاريخ. سنن أبي داود (٢٩٥/٤) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. بدون تاريخ. مسند أحمد (٤٢/ ٤٨٧) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) : "الْمَعْنى فيهمَا وَاحِد وَلكنه كره قبح اللَّفْظ فِي خبثت."[١]
وتابعه في ذلك الخطابي (٣٨٨هـ) فقال: "قوله: لقست نفسي وخبثت معناهما واحد، وإنما كره من ذلك لفظ الخبث وبشاعة الاسم منه، وعلمهم الأدب في المنطق وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح منه."[٢]

وقال أبو الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ): " خبثت ولقست ومقست بِمَعْنى وَاحِد، وَمَعْنَاهُ غثت وَهُوَ الَّذِي يُرِيدهُ الْقَائِل: خبثت، لَكِن النَّبِي ﷺ كره اسْم الْخبث، وَاخْتَارَ لَفْظَة لَا تستبشع، فَكَانَ النَّبِي ﷺ يكره الْأَلْفَاظ المستبشعة والدالة على الْمَكْرُوه، وَكم غير اسْم شخص لذَلِك الْمَعْنى، كَمَا غير اسْم عاصية بجميلة، وَكَانَ يكره لفظ الْخبث لِأَنَّهُ مُسْتَعْمل فِي الْكفْر وَالشَّر."[٣]

ولعل مقصد السادة العلماء من كون معناهما واحدا أن العلاقة بين المعنيين قريبة والمناسبة موجودة، ولكن يبقى لكل معنى منهما أطيافه الخاصة وإيحاءاته المتميزة وإشاراته المستقلة.
ولو كان المراد أن المعنى فيهما واحد على الإطلاق ما صح ذلك لنهيه ﷺ عن [خبثت] ودعوته إلى [لقست]؛ إذ لو كانتا بمعنى واحد لكان هذا عبثا، والعبث لا يكون منه ولا يليق به ﷺ.

---

١ - غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٣٣٤) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ) تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢ - معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود (٤/ ١٣١) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ) المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٣ - كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١١١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق:علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض بدون تاريخ.

لذا قال الدماميني (٨٢٧ هـ): "كره النبي –عليه الصلاة والسلام– اللفظ الأول؛ لما فيه من بشاعة لفظ الخبث وقبحِه، فعدل إلى اللفظ السالم من هذه البشاعة، وهو لَقِسَتْ؛ إذ معناه: غثت."[١]

ثم نقل القول السابق لأبي عبيد (٢٢٤هـ) وقال بعده: " إن صحَّ هذا، قدح في قولهم: إنه يجوز في كل لفظين مترادفين أن يوضع أحدُهما مكان الآخر."[٢]
وقال ابن بطال (٤٤٩هـ): " وليس قوله –عليه السلام–: (لا يقولن أحدكم خبثت نفسى) على معنى الإيجاب والحتم، وإنما هو من باب الأدب."[٣]
وفي هذا بيان لمدى حرصه ﷺ على تعليم أصحابه –رضي الله عنهم– هذا الأدب الرفيع واجتناب ما يخلُّ بكمال هذا الأدب ولو كان كلمة واحدة.

ومن الأمثلة والنماذج التي توجهت فيها التصويبات النبوية إلى الكلمة تعليما وتقويما ما رواه أبو هريرة –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي»[٤]

---

١ - مصابيح الجامع (٩/ ٣٦١) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني(٨٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢ - مصابيح الجامع (٩/ ٣٦١)
٣ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٣٣٦) أبو الحسن علي بن خلف بن بن بطال البكري، القرطبي، ثم البَلَنْسي (٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٤ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٤)، مسند أحمد (١٦/ ٤٣)، السنن الكبرى للنسائي (٩/ ١٠٠) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

وعن أَبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي "[1]

"إنما منع ﷺ أن يقال: أطعم ربك، اسق ربك، لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله -عز وجل- وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة بالاسم، لئلا يدخل في معنى الشرك، والحر والعبد في هذا بمنزلة واحدة، فأما مالا تعبد عليه من سائر الحيوان والجماد، فلا بأس بإطلاق هذا الاسم عليه عند الإضافة، كقولك: رب الدابة، ورب الدار، والثوب، ونحوها، ولم يمنع العبد أن يقول: سيدي، ومولاي، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرئاسة على من تحت يده، والسياسة له، وحسن التدبير لأمره، ولذلك سمي الزوج سيدا. قال الله عز وجل: (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) [يوسف : ٢٥]. وقال النبي ﷺ في الحسن بن علي -رضي الله عنهما-: (إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين)[2] وكان ما جرى منه- رضوان الله عليه- في ذلك المقام حسن تدبير ونظر سياسة، وإن كان أحق بالأمر، وأولى به.

وقد قال بعض أهل اللغة: إنما سمي السيد سيدا لأنه يملك السواد الأعظم، أو يليهم، أو كما قال من هذا النحو.

وأما المولى فكثير التصرف في الوجوه المختلفة من ولي، وناصر، وابن عم، وحليف، ومعتق، وجماع ذلك كله في معنى الاشتقاق: ولاية أمر وإصلاحه، فلم يمنع أن يوصف بها الإنسان ويضاف إليها، ولكن لا يقال السيد على الإطلاق، ولا المولى من غير إضافة إلا في صفة الله -عز وجل- وكذلك العبد يكره لمالك الرقبة أن يقول: عبدي، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه

---

١ - صحيح البخاري (٣/ ١٥٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٥)

٢ - صحيح البخاري (٣/ ١٨٦)، سنن الترمذي (٥/ ٦٥٨) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

العبودية له، وصاحبه الذي هو مالكه عبد الله، متعبد بأمره ونهيه، فإدخال مملوكه تحت هذا الاسم يوهم الشرك، ويوجب معنى المضاهاة، فلذلك استحب له أن يقول: فتاي، وفتاتي، ونحو ذلك من القول، والمعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر، والتزام الذل والخشوع، وهو الذي يليق بسمة العبيد، وبصفات المربوبين، لا يحسن بعبد أن يقول: فلان عبدي، وإن كان قد ملك قياده في الاستخدام له، والاستخذاء لطاعته، امتحانا وابتلاء من الله لخلقه. وقال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) [الفرقان : ٢٠]."[1]

"وإنما نهى -عَلَيْهِ السَّلام- عن ذلك على سبيل التطاول والغلظة لا على سبيل التحريم، واتباع ما حض عليه النبى ﷺ أولى وأجل، فإن في ذلك تواضعًا لله- تعالى-؛ لأن قول الرجل: عبدي، وأمتي، يشترك فيهما الخالق والمخلوق، فيقال: عبد الله، وأمة الله، فكره ذلك لاشتراك اللفظ. وأما الرب فهي كلمة وإن كانت مشتركة وتقع على غير الخالق للشيء، كقولهم: رب الدار، ورب الدابة، يراد صاحبهما؛ فإنها لفظة تختص بالله في الأغلب والأكثر، فوجب أن لا تستعمل في المخلوقين، لنفي الشركة بينهم وبين الله، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال لأحد غير الله: إله، ولا رحمن، ويجوز أن يقال له: رحيم؛ لاختصاص الله بهذين الاسمين، فكذلك الرب لا يقال لغير الله."[2]

"وأن الربوبية إنما هى حقيقة لله تعالى، فيجب للعبد المربوب ألا يسامح بتسميته بذلك وندائه بذلك بحال. وأصل الربوبية الملك وكل من ملك شيئاً فهو ربه. والربوبية -أيضاً- القيام على الشيء، يقال لمن أصلح شيئاً وقام به: قد ربه يربه، ومنه سمى الربانيون؛ لقيامهم بشرائع مللهم، لكن لا رب حقيقة ولا مالك حقيقة ولا فاعل حقيقة إلا الله -تعالى-، فهو رب الأرباب، ومالك كل مالك، وخالق كل شيء ورازقه، وقيوم السماوات والأرض والقائم على كل نفس

---

١ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٢/ ١٢٧١-١٢٧٣) أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ) تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (٧/ ٦٨)

بما كسبت، وغيره مخلوق مملوك غير مالك لنفسه ولا قديم، الملك لا يدوم له ولا يعم ملكه."[1]

"وَلَا نَهْيَ فِي قَوْلِ الْمَمْلُوكِ سَيِّدِي لِقَوْلِهِ ﷺ وليَقُلْ سَيِّدِي، لِأَنَّ لَفْظَةَ السَّيِّدِ غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ بِاللَّهِ -تَعَالَى- اخْتِصَاصَ الرَّبِّ، وَلَا مُسْتَعْمَلَةٍ فِيهِ كَاسْتِعْمَالِهَا، وَلَمْ يَأْتِ تَسْمِيَةُ اللَّهِ -تَعَالَى- بِالسَّيِّدِ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي حَدِيثٍ مُتَوَاتِرٍ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ ابني هذا سيد، وقوموا إِلَى سَيِّدِكُمْ. يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ. يَعْنِي سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَلَيْسَ فِي قَوْلِ الْعَبْدِ سَيِّدِي إِشْكَالٌ وَلَا لُبْسٌ، لِأَنَّهُ يَسْتَعْمِلُهُ غَيْرُ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ، وَلَا بَأْسَ أَيْضًا بِقَوْلِ الْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ مَوْلَايَ؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى وَقَعَ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ مَعْنًى مِنْهَا النَّاصِرُ وَالْمَالِكُ."[2]

"وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ ﷺ: لَا يَقُلِ الْعَبْدُ رَبِّي وَلْيَقُلْ سَيِّدِي. لِأَنَّ الرَّبَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ -تَعَالَى- الْمُسْتَعْمَلَةِ بِالِاتِّفَاقِ، وَاخْتُلِفَ فِي السَّيِّدِ هَلْ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ -تَعَالَى- أَمْ لَا؟ فَإِذَا قُلْنَا لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَالْفَرْقُ وَاضِحٌ، إِذْ لَا الْتِبَاسَ وَلَا إِشْكَالَ، وَإِذَا قُلْنَا إِنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَلَيْسَ فِي الشُّهْرَةِ وَلَا الِاسْتِعْمَالِ كَلَفْظِ الرَّبِّ، فَيَحْصُلُ الْفَرْقُ."[3]

---

١ - إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم (٧/ ١٨٧-١٨٨) بتصرف يسير. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (٥٤٤هـ) تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦-٧) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي (٩/ ١٩٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

من كل هذا نتبين مدى دقة وقوفه ﷺ مع الإيحاءات الخاصة لكل كلمة وقوفا يحرص فيه على أن يسلم المتكلم من تبعات بعض الكلمات التي ربما يؤدي نطقه بها إلى إيذاء نفسه تعظيما وتفخيما أو إيذاء مخاطبه تحقيرا وتصغيرا.

ومن النماذج الظاهرة للتصويب النبوي للكلمة ما رواه الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ"، فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: لاَ، «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»"[1]

ومن رواية الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ -أيضا- في سنن أبي داود: "قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» قَالَ «فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» قَالَ الْبَرَاءُ: فَقُلْتُ: أَسْتَذْكِرُهُنَّ، فَقُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»"[2]

تعددت آراء العلماء وتنوعت اتجاهاتهم في بيان علة هذا التصويب النبوي ، وفيما يلي عرض لأبرز تلك الآراء وأهم تلك الاتجاهات:
قال الخطابي (٣٨٨هـ): "وقوله: [لا ونبيك] حجة لمن لم ير أن يروى الحديث على المعنى إلا على متابعة اللفظ والتمسك به وترك المفارقة له، وهو مذهب

١ - صحيح البخاري (٨/ ٦٨)
٢ - سنن أبي داود (٤/ ٣١١)

عبد الله بن عمر بن الخطاب[1] والقاسم بن محمد[2] وابن سيرين[3] ورجاء بن حيوة[4] وكذلك كان مذهب مالك بن أنس[5] وابن علية[6] وعبد الوارث[7] ويزيد بن زريع[8] ووهيب[9].

وكان يذهب هذا المذهب أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي[10] ويقول: ما من لفظة من الألفاظ المتناظرة من كلام العرب إلا وبينها وبين صاحبها فرق وإن دق ولطف كقولك: بلى، ونعم، وتعال، وأقبل، ونحوها من الكلام.

قلت[11]: والفرق بين النبي والرسول أن النبي هو المنبوء [المنبأ] المخبر، فعيل بمعنى مفعل، والرسول هو المأمور بتبليغ ما نبئ وأخبر به، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، فقد يحتمل أن يكون معنى رده إياه عن اسم الرسول إلى اسم النبي أن الرسول من باب المضاف فهو ينبئ عن المرسل والمرسل إليه، فلو قال: وبرسولك، ثم أتبعه بقول الذي أرسلت لصار البيان معادا مكررا فقال: ونبيك الذي أرسلت، إذ قد كان نبيا قبل أن يكون رسولا ليجمع له الثناء

---

١ - عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، من مشاهير الصحابة، توفي (٧٣هـ) وقيل:(٧٤هـ).

٢ - القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، من كبار التابعين (٣٥ هـ - ١٠٧ هـ).

٣ - محمد بن سيرين البصري، من كبار التابعين.، توفي (١١٠هـ) وكان عمره نيفاً وثمانين سنة.

٤ - رجاء بن حيوة الكندي، من كبار التابعين، توفي (١١٢هـ).

٥ - أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري، صاحب المذهب الفقهي المشهور (٩٣-١٧٩هـ).

٦ - إسماعيل بن إبراهيم الأسدي اشتهر بابن علية وهي أمه، من أئمة الحديث (١١٠هـ - ١٩٣هـ).

٧- عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، من أئمة الحديث والقراءات (١٠٢هـ -١٨٠هـ).

٨ - يزيد بن زُرَيْع:، يكنى أبا معاوية، وكان ثقة، حجّة، كثير الحديث، توفّي بالبصرة (١٨٢هـ).

٩ - وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي، من أئمة الحديث، توفي سنة (١٦٥هـ) عن ثمان وخمسين سنة.

١٠ - النحوي المشهور بثعلب، إمام الكوفيين في عهده (٢٠٠ هـ-٢٩١ هـ).

١١ - الكلام للإمام الخطابي.

بالاسمين معا، وليكون تعديدا للنعمة في الحالين وتعظيما للمنة على الوجهين، والله أعلم."[1]

وقال ابن بطال (٤٤٩هـ) "وقوله: [ونبيك الذي أرسلت] حجة لمن قال: إنه لا يجوز نقل حديث النبي ﷺ على المعنى دون اللفظ، وهو قول ابن سيرين، ومالك وجماعة من أصحاب الحديث.

وقال المهلب[2]: إنما لم تبدل ألفاظه ﷺ لأنها ينابيع الحكمة، وجوامع الكلام، فلو جوز أن يعبر عن كلامه بكلام غيره سقطت فائدة النهاية في البلاغة التي أعطيها ﷺ.

وقال بعض العلماء: لم يردّ النبي بردّه على البراء لتحرى قوله فقط، وإنما أراد بذلك ما في قوله: ونبيك الذي أرسلت -من المعنى الذي ليس في قوله: ورسولك الذي أرسلت- وذلك أنه إذا قال: [ورسولك الذي أرسلت] يدخل فيه جبريل وغيره من الملائكة الذين هم رسل الله إلى أنبيائه وليسوا بأنبياء، كما قال -تعالى- في كتابه: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) [الحج: ٧٥] فأراد بقوله: [ونبيك الذي أرسلت] تخليص الكلام من اللبس، وأنه المراد ﷺ بالتصديق بنبوته بعد التصديق بكتابه الذي أوحى الله -تعالى- إليه وأمرهم بالإيمان به، وإن كان غيره من رسل الله أيضًا واجب الإيمان بهم، وهذه شهادة الإخلاص والتوحيد الذي من مات عليها دخل الجنة، ألا ترى قوله ﷺ : [فإن مت مت على الفطرة] يعنى فطرة الإيمان."[3]

وقال المازري (٥٣٦هـ): "يحتمل أن يكون أراد - ﷺ - أن يقول كماَ عَلّمه من غير تَغيير، وإن كان المعنى لا يختلف في المقصود، ولَعَلَّه ﷺ أوحِيَ إليه بهذا اللفظ فاتَّبع ما أوحيَ إلَيه به، لأنَّه لا يغير ما أوحي إليه به، لا سيما والموعود به على هذه الدعوات أمر لا يوجبه العقل وإنَّما يعرف بالسَّمع، فينبغي أن يتبع السَّمع فيه على ما وقع على أن قوله: [ورسولِك الذي أرسلتَ] لا يفيد من

---

١ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٢٩٧/١- ٢٩٨)

٢ - المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي صُفْرَةَ التميمي المالكي الأندلسي، القاضي المحدث الفقيه، توفي (٤٣٥ هـ).

٣ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٣٦٥-٣٦٦)

جهة نطقه إلاَّ معني واحدًا وهو الرِّسالة. وقوله: [وَنَبِيِّك الذي أرسلتَ] يفيد من جهة نطقه النبوة والرسالة، وقد يكون[1] نبيّ ليس برسول، والمعتمد على ما قلناه من اتباع اللفظ المسموع من الشرع. وإنما ذكرنا هذا الفرق لنشِير إلى معنى ما يفترق فيه اللَّفظان."[2]

وقال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): "وَفِي أمره بِحِفْظ هَذَا اللَّفْظ دون غَيره مَا يدل على أَنه يَنْبَغِي أَن يُرَاعِي اللَّفْظ. وَقد كَانَ خلق من السّلف يراعون الْأَلْفَاظ. وَهَذَا لِأَنَّهُ قل أَن يَنُوب لفظ عَن لفظ إِلَّا وَبَينهمَا نوع فرق، فَمَتَى أمكن مُرَاعَاة اللَّفْظ كَانَ أَجود، وَإِذا لم يُمكن جَازَ لذِي الْفِقْه والفهم أَن يروي بِالْمَعْنَى. وَكَانَ الْحسن الْبَصْرِيّ[3] يروي الحَدِيث بِالْمَعْنَى. وَهَذِه الْأَلْفَاظ الْمَذْكُورَة هَاهُنَا يسيرَة فَأمكن ضَبطهَا.

وَيجوز أَن يكون إِنَّمَا رده عَن ذكر الرَّسُول إِلَى ذكر النَّبِي لفائدة، وَهِي تحْتَمل وَجْهَيْن: أَحدهمَا: أَن يكون مُرَاده الْجمع لَهُ بَين الاسمين: النُّبُوَّة والرسالة، فَإِنَّهُ نَبِي قبل أَن يُرْسل، فَأَرَادَ أَن يصفه بِالنُّبُوَّةِ ثمَّ بالرسالة. وَلَو قَالَ: برسولك الَّذِي أرْسلت كَانَت صفة وَاحِدَة مكررة. وَالثَّانِي: أَن يكون ذكر النَّبِي احترازا من أَن يُضَاف ذَلِك إِلَى جِبْرِيل، لِأَنَّهُ إِذا قَالَ: بكتابك وَرَسُولك، احْتمل الرَّسُول جِبْرِيل، وَلم يكن للنَّبِي ﷺ فِيهِ ذكر."[4]

وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): "وَأَوْلَى مَا قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ فِي رَدِّهِ ﷺ عَلَى مَنْ قَالَ الرَّسُولَ بَدَلَ النَّبِيِّ أَنَّ أَلْفَاظَ الْأَذْكَارِ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَلَهَا خَصَائِصُ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ، فَتَجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ، وَهَذَا اخْتِيَارُ الْمَازِرِيِّ،

---

١ - كان هنا تامة، والمعنى: وقد يوجد نبي ليس برسول.

٢ - المُعْلم بفوائد مسلم (٣/ ٣٣٠ -٣٣١) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (٥٣٦هـ) تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.

٣ - أبو سعيد الحسن بن يسار البصري من أئمة التابعين (٢١ هـ -١١٠هـ).

٤ - كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٢٤٠-٢٤١)

قَالَ: فَيُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا"[1]

وما اختاره المازري ورجحه ابن حجر له وجاهته، لكنه لا ينفي أهمية الآراء الأخرى التي سيقت في هذا المقام، ومن أهمها تلك التي تؤكد على التفريق بين لفظي النبي والرسول، بل لعلها ألأقوى في تعليل التصويب النبوي الوارد في هذا الأنموذج.
من كل ما سبق نعلم مدى عناية التصويبات النبوية بنقد الكلمة، وحرصها على الوقوف عندها تقييما وتقويما.

ثانيا: نقد الأسلوب

عندما يحاول المتكلم أن يعبر عن ما يود التعبير عنه يسلك طريقة خاصة في ترتيب ونظم كلماته حتى تؤدي بانضباط تام ما يود تأديته دون انحراف عن القصد أو زيادة فيه أو نقصان عنه، هذا ما يعرف بالأسلوب، وإذا نجح المتكلم في إيصال ما يريد بيانه دون انحراف عن القصد أو زيادة فيه أو نقصان عنه فقد بلغ أسلوبه الغاية، أما إذا لم يوفق في هذا عندها نعلم أن في أسلوبه خلل ينبغي تداركه.
ولما كان النبي -ﷺ- حريصا على بلوغ أساليب صحبه الكرام غايتها توجه بالنقد إلى بعض ما رآه فيها من قصور سادّاً خللها راجيا اكتمالها.

من الأمثلة على النقد النبوي الموجه إلى الأسلوب ما رواه حُذَيْفَة عَنِ النَّبِيِّ

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ١١٢) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»[1]

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " أَمَا وَاللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُمْ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ "[2]

وعَنْ الطُّفَيْلِ بن عبد الله الأزدي قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ "[3]

"[الواو] حرف الجمع والتشريك و[ثم] حرف النسق بشرط التراخي فأرشدهم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله -سبحانه- على مشيئة من سواه."[4]
"لأن مشيئة الله متقدمة على مشيئة خلقه، قال تعالى: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) [الإنسان : ٣٠] فهذا من الأدب."[5]

---

١ - سنن أبي داود (٤/ ٢٩٥)، مسند أحمد (٣٨/ ٣٧٠)، السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٦١)
٢ - سنن ابن ماجة (١/ ٦٨٥) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.
٣ - مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) (٣/ ١٧٦٩) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤ - معالم السنن (٤/ ١٣١-١٣٢)
٥ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (٦/ ١٠٦-١٠٧)

"وَذَلِكَ أَن [الْوَاو] لما كَانَ حرف الْجمع والتشريك، منع مِن عطف إِحْدَى المشيئتين عَلَى الْأُخْرَى بِحرف [الْوَاو]، فَأمر بِتَقْدِيم مَشِيئَة اللَّه -تَعَالَى- وَتَأْخِير مَشِيئَة مِن سواهُ بِحرف [ثُمَّ] الَّذِي هُوَ للتراخي."[1]
"[ثم] ههنا يحتمل التراخي في الزمان وفي الرتبة: فإن مشيئة الله -تعالى- أزلية ومشيئة غيره حادثة تابعة لمشيئة الله -تعالى- وما شاء الله كان، ومشيئة العبد لم يقع أكثرها، فأين إحداهما من الأخرى؟"[2]

ومن ذلك -أيضا- ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ "[3]

"مَعْنَاهُ لَا يَشْتَرِطُ مَشِيئَتَهُ بِاللَّفْظِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مُتَيَقَّنٌ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ وَلَا يَصِحُّ غَيْرُ هَذَا فَلَا مَعْنَى لِاشْتِرَاطِ الْمَشِيئَةِ لِأَنَّهَا إنَّمَا تُشْتَرَطُ فِيمَنْ يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ دُونَ أَنْ يَشَاءَ بِالْإِكْرَاهِ وَغَيْرِهِ مِمَّا تَنَزَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ - ﷺ - فِي آخِرِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: [فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ] وَمَعْنَى قَوْلِهِ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ: أَيْ يُعْرِي دُعَاءَهُ وَسُؤَالَهُ مِنْ لَفْظِ الْمَشِيئَةِ، وَيَسْأَلُ سُؤَالَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إلَّا أَنْ يَشَاءَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ: [إنْ شِئْت] نَوْعًا مِنْ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْ مَغْفِرَتِهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: [إنْ شِئْت أَنْ تُعْطِيَنِي كَذَا فَافْعَلْ] لَا

---

١ - شرح السنة للبغوي (١٢/ ٣٦١-٣٦٠) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢ - شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (١٠/ ٣٠٩٥) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
٣ - صحيح البخاري (٩/ ١٤٠)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٣) وفيه:"لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لَا مُكْرِهَ لَهُ ".

يُسْتَعْمَلُ هَذَا إِلَّا مَعَ الْغِنَى عَنْهُ، وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعْزِمُ مَسْأَلَتَهُ، وَيَسْأَلُ سُؤَالَ فَقِيرٍ مُضْطَرٍّ إِلَى مَا سَأَلَهُ."[1]

"وَالْمُرَادُ أَنَّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى التَّعْلِيقِ بِالْمَشِيئَةِ مَا إِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ يَتَأَتَّى إِكْرَاهُهُ عَلَى الشَّيْءِ فَيُخَفِّفُ الْأَمْرَ عَلَيْهِ، وَيَعْلَمُ بِأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ إِلَّا بِرِضَاهُ، وَأَمَّا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لِلتَّعْلِيقِ فَائِدَةٌ"[2]

"لأن هذا التعليق صورته صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه"[3]

"قِيلَ: مَنَعَ عَنْ قَوْلِهِ: [إِنْ شِئْتَ] لِأَنَّهُ شَكٌّ فِي الْقَبُولِ، وَاللَّهُ -تَعَالَى- كَرِيمٌ لَا يُخْلَ عِنْدَهُ، فَلْيَسْتَيْقِنْ بِالْقَوْلِ"[4]

"فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ: [إِنْ شَاءَ] لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّقْيِيدِ بِهِ، مَعَ أَنَّهُ مُوهِمٌ لِعَدَمِ الِاعْتِنَاءِ بِوُقُوعِ ذَلِكَ الْفِعْلِ أَوْ لِاسْتِعْظَامِهِ عَلَى الْفَاعِلِ عَلَى الْمُتَعَارَفِ بَيْنَ النَّاسِ"[5]

"نهى عن قول: [إن شئت] في الدعاء؛ لأن هذا شكٌّ في قبول الدعاء، ولأن لفظ [إن شئت] إذا قلته لأحد معناه: إني جعلت الخيرة إليك؛ يعني: لم يكن قبلَ قولك: (إن شئت) مختارًا، بل لو لم تقلْ: [إن شئت] كان يلزمُ عليه قَبولُ الدعاء؛ شاء أو لم يشأ، فإذا قلت: [إن شئت] جعلته مخيرًا، وهذا لا يجوز في

---

١ - المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٥٦-٣٥٧) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (٤٧٤هـ) مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ. (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة الثانية، بدون تاريخ)

٢ - فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٤٠)

٣ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري = شرح القسطلاني (٩/ ١٩٧) أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٤ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٢٤) أبو الحسن علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٢٤)

حقَّ الله تعالى، فإنه لا حكمَ لأحد عليه، وليس لأحد أن يكرهه، بل هو فعَّال لما يريد، فكيف يجوزُ أن يقال: [إن شئت] بل يعزم السائل مسألته، وليسألْ من غير شكٍّ وتردد، بل ليكن مُستيقِنًا في قبول الدعاء، فإن الله تعالى كريم لا بخلَ عنده، وقدير لا يعجزُ عن شيء.

قوله: [لا مكره] يعني: لا يقدر أحدٌ أن يكرهه على أمرٍ، ولا حكمَ لأحد عليه، بل يفعلُ ما يشاء، فإذا لم يكن له مُكرِهٌ، ولم يكن لأحد عليه حكمٌ، فلا يجوزُ أن يقال له: اغفر لي إن شئت."[1]

من كل ما تقدم يتضح مدى خطأ أسلوب من يعلق طلبه من الله في الدعاء على مشيئتة، لهذا توجه المعصوم -ﷺ- بالنهي عن هذا الأسلوب الذي لا يليق بخطاب من لا يُعجِزه شيء ولا يقهره شيء.

ومن الأساليب التي توجهت إليها التصويبات النبوية منتقدة ما فيها من خطأ يمكن أن يصيب المتكلم في معتقده ما رواه أَبو هُرَيْرَة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ."[2]

وفي رواية: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ وَاخَيْبَةَ الدهر فإن الله هو الدهر"[3]

"الْخَيْبَةُ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ، بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: الْحِرْمَانُ وَالْخُسْرَانُ وَعَدَمُ نَيْلِ الْمَطْلُوبِ، فَقَوْلُ الْقَائِلِ: [يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ] أَوْ [وَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ] وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى النُّدْبَةِ، وَهِيَ نِدَاءُ مُتَفَجَّعٍ عَلَيْهِ حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا

---

١ - المفاتيح في شرح المصابيح (٣/١١٩-١٢٠) الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (٧٢٧ هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٢ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٣)، مسند أحمد (١٥/ ٥٧)

٣ - صحيح ابن حبان (١٣/ ٢١) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

أَوْ مُتَوَجَّعٍ مِنْهُ، كَأَنَّهُ فَقَدَ الدَّهْرَ لِمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْرَهُهَا فَنَدَبَهُ."[1]

"فندبه متفجعًا عليه أو متوجعًا منه أو هو دعاء عليه بالخيبة."[2]

"وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمصَدَرِ إِلَى الْفَاعِلِ"[3]

"وقوله : [لا يقولن أحدكم : يا خيبة الدَّهر] ليس هذا النَّهي مقصورًا على هذا اللفظ، بل يلحق به كل ما في معناه"[4]

"كان أهل الجاهلية يضيفون المصائب والنوائب إلى الدهر الذي هو مر الليل والنهار، وهم في ذلك فريقان:

فرقة لا تؤمن بالله ولا تعرف إلا الدهر الليل والنهار اللذين هما محل للحوادث وظرف لمساقط الأقدار، فنسبت المكاره إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن لها مدبرًا غيره وهذه الفرقة هي الدهرية التي حكى الله عنهم: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [الجاثية : ٢٤]

وفرقة ثانية: تعرف الخالق فتنزهه أن تنسب إليه المكارة فتضيفها إلى الدهر والزمان، وعلى هذين الوجهين كانوا يذمون الدهر ويسبونه، فيقول القائل منهم: يا خيبة الدهر، ويا بؤس الدهر، فقال لهم النبي -عليه السلام- مبطلا ذلك من مذهبهم: [لا تسبوا الدهر على أنه الدهر، فإن الله هو الدهر] يريد والله أعلم: لا تسبوا الدهر على أنه الفاعل لهذا الصنع بكم، فإن الله هو

---

١ - طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ١٥٦) أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (٨٢٦هـ) الطبعة المصرية القديمة (صورتها دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ)

٢ - شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ١٠٧)

٣ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٠٢)

٤ - المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم (٥٤٨/٥) أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٦٥٦هـ) تحقيق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى ١٩٩٦م – ١٤١٧هـ.

الفاعل لـه، فإذا سببتم الذي أنزل بكم المكارة رجع السب إلى الله وانصرف إليه. ومعنى قوله: [أنا الدهر] : أنا ملك الدهر ومصرفه فحذف اختصارًا للفظ واتساعًا في المعنى."[1]

"فَجَاءَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِلَّهِ -تَعَالَى- وَإِجْلَالًا لَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ مُضَارَعَةِ سَبِّ اللَّهِ وَذَمِّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ[2]:

أَلَا إِنَّمَا ذَا الدَّهْرُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ★★★ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرِّ"[3]

"وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ مِنْ شَأْنِهَا ذَمُّ الدَّهْرِ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بِهَا من المكاره فيقولون: (أصابتنا قَوَارِعُ الدَّهْر) و (أَبَادَنَا الدَّهْر) وَ (أَتَى عَلَيْنَا الدَّهْرُ).

أَلَا تَرَى إِلَى[4] قَوْلِ شَاعِرِهِمْ[5]:

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى ★★★ فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ
فَلَوْ أَنَّهَا نَبْلٌ إِذًا لَا تَّقَيْتُهَا ★★★ وَلَكِنَّنِي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ

---

١ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٣٣٧)

٢ - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، شاعر جاهلي، من أشهر شعراء العرب على الإطلاق، (١٣٠- ٨ ق. هـ/٤٩٦- ٥٤٤م)، والبيت في ديوانه بهذه الرواية:
ألا إنّمَا الدّهرُ لَيَالٍ وَأعْصُرٌ ★★★ وَلَيْسَ عَلَى شَيءٍ قَويمٍ بِمُسْتَمِرْ ديوان امرئ القيس (ص: ٩٨) اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

٣ - الاستذكار (٨/ ٥٥١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ) تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤ - ضمَّن [ترى] معنى [تنظر] فعداها بـ [إلى].

٥ - الشاعر هو عمرو بن قميئة، شاعر جاهلي معمر(١٧٩-٨٥ ق. هـ/٤٤٨-٥٤٠م) والأبيات في ديوانه (ص: ٤٥، ٤٦، ٤٧) تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

فأفّنى وَمَا أفّنْيْتُ لِلدَّهْرِ لَيْلَةً ★★★ وَلَمْ يُغْنِ مَا أفّنْيْتُ سلك نظام"[1]

"قَوْلُهُ – ﷺ –: (لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ) يُرِيدُ –وَاَللَّهُ أَعْلَمُ– خَيْبَتِي مِنْ حَاجَتِي الَّتِي طَلَبْتهَا، فَنَسَبَ الْخَيْبَةَ إِلَى الدَّهْرِ وَتَظَلَّمَ مِنْهُ، فَنَهَوْا عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَانِعَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ –وَاَللَّهُ أَعْلَمُ– لِأَنَّ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ – تَعَالَى– فَإِذَا تَظَلَّمْتُمْ مِنْ الْمَانِعِ فَإِنَّمَا يَقَعُ تَظَلُّمُكُمْ مِنْ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَانِعُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تُضِيفُ إِلَى الدَّهْرِ مَا يُصِيبُهُا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ) [الجاثية: ٢٤] فَأَكْذَبَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ) [الجاثية: ٢٤]."[2]

"ولا شكَّ في كفر من نسبَ تلك الأفعال أو شيئًا منها للدَّهر حقيقة، واعتقد ذلك. وأما من جرت هذه الألفاظ على لسانه ولا يعتقد صحة تلك : فليس بكافر، ولكنه قد تشبَّه بأهل الكفر وبالجاهلية في الإطلاق، وقد ارتكب ما نهاه رسول الله ﷺ عنه. فَلْيتُب، وليستغفر الله –تعالى– ."[3]

من كل ما تقدم نتبين كيف توجه النبي ﷺ بالنقد والتصويب إلى الأخطاء التي وردت أو قد ترد في أساليب بعض أصحابه –رضي الله عنهم– مما يشير إلى مدى ما تمتع به ﷺ من حسّ نقدي بارع ينبغي أن يقف الدرس النقدي عنده فهما وتعلما.

---

١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/ ١٥٥) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.

٢ - المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٣٠٩)

٣ - المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم (٥/٥٤٧-٥٤٨)

ثالثا: نقد الصورة

لا غنى لمتحدث في حديثه عن التصوير، يقيم به الحجة ويوضح به الغامض ويستحضر به الغائب ويقرب به البعيد، وأصحاب النبي ﷺ ليسوا بدعا من الناس في ذلك، ومن ثم كانت الصورة بارزة الحضور في كلامهم، وكان النبي ﷺ يُظهر اهتمامه بأقوالهم -رضي الله عنهم- وما تصويبه لما قد يرد من خطأ في بعض تلك الأقوال إلا مظهر من مظاهر هذا الاهتمام، وكما توجه التصويب إلى الكلمة تارة وإلى الأسلوب تارة أخرى -كما تبين لنا من قبل- توجه كذلك إلى الصورة، وفيما يلي نقف مع شيء من تلك التصويبات النبوية المباركة التي توجهت إلى الصورة تقويما وتعليما.

من ذلك ما رواه سَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا». ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»[1]

وعَنْ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَسَمَ قَسْمًا، فَأَعْطَى نَاسًا، وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا، وَمَنَعْتَ فُلَانًا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: «لَا تَقُلْ مُؤْمِنٌ، وَقُلْ مُسْلِمٌ»[2]

---

١ - صحيح البخاري (١/ ١٤) صحيح مسلم (١/ ١٣٢)

٢ - المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المعروف بـ (سنن النسائي) (٨/ ١٠٤) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

"قولـه – ﷺ –: (أَوْ مُـسْلِمًا) دليـلٌ علـى التفرقـة بـين الإسـلام والإيمـان، لأن الإيمـان التصديق، والإسـلام الاستسلام والانقيـاد إلـى الشرائع، والإيمـان شـعبة من ذلك فكل إيمان، إسلام وليس كل إسلام إيمانـاً؛ لأنـه قد ينقاد فـي الظـاهر وهو منافق قال الله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [الحجرات : ١٤]."[١]

"وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (أَوْ مُسْلِمًا) فَلَيْسَ فِيهِ إِنْكَارُ كَوْنِهِ مُؤْمِنًا بَلْ مَعْنَاهُ النَّهْيُ عَنِ الْقَطْعِ بِالْإِيمَانِ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْإِسْلَامِ أَوْلَى بِهِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَعْلُومٌ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ وَأَمَّا الْإِيمَانُ فَبَاطِنٌ لَا يَعْلَمهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ زَعَمَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا وَلَيْسَ كَمَا زَعَمَ بَلْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِيمَانِهِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي جَوَابِ سَعْدٍ (إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ) مَعْنَاهُ أُعْطِي مَنْ أَخَافُ عَلَيْهِ لِضَعْفِ إِيمَانِهِ أَنْ يَكْفُرَ وَأَدَعُ غَيْرَهُ مِمَّنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ طُمَأْنِينَةِ قَلْبِهِ وَصَلَابَةِ إِيمَانِهِ"[٢]

"(أَوْ مُسْلِمًا) هُوَ بِإِسْكَانِ الْوَاوِ لَا بِفَتْحِهَا، فَقِيلَ: هِيَ لِلتَّنْوِيعِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ لِلتَّشْرِيكِ، وَأَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَقُولَهُمَا مَعًا لِأَنَّهُ أَحْوَطُ. وَيَرُدُّ هَذَا رِوَايَةُ بن الْأَعْرَابِيِّ فِي مُعْجَمِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ لَا تَقُلْ مُؤْمِنٌ بَلْ مُسْلِمٌ فَوَضَحَ أَنَّهَا لِلْإِضْرَابِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارَ، بَلِ الْمَعْنَى أَنَّ إِطْلَاقَ الْمُسْلِمِ عَلَى مَنْ لَمْ يُخْتَبَرْ حَالُهُ الْخِبْرَةَ الْبَاطِنَةَ أَوْلَى مِنْ إِطْلَاقِ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ مَعْلُومٌ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ قَالَهُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ مُلَخَّصًا"[٣]

" وليس مقال سعد مناقضاً للنبي ﷺ ولكن لما قطع سعد على إيمانه قال له النبي ﷺ: " أَوْ مسلماً " بمعنى: أن هذه اللفظة التي تُطلق على الظاهر أولى في الاستعمال، إذ السرائر مخفية لا يعلمها إلا الله، وحُكمُ النبي ﷺ في أمته على الظواهر."[٤]

---

١ - المُعْلم بفوائد مسلم (٢/ ٣٣)
٢ - شرح النووي على مسلم (٢/ ١٨١-١٨٢)
٣ - فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٠)
٤ - إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (١/ ٤٦٣)

من عرض ما تقدم يتبين لنا أن النبي ﷺ أراد إلا يقطع سعد -رضي الله عنه- بوصف الرجل بالإيمان، لأن الوصف بالإيمان ينبغي معه أن يكون سعد مطلعا على باطن الرجل، وليس الأمر في الواقع كذلك، لذا توجه التصويب النبوي إلى تلك الصورة مرشدا إلى صورة أرحب وأوسع وأشمل لا تبنى على الاحتمال ولا تقوم على الظن إلا وهي صورة الإسلام، وفي هذا بيان نبوي لما ينبغي أن تكون عليه الصورة في كلام المتكلمين، فهو يريدها واقعية غير متخيلة يقينية غير مظنونة.

ومن قبيل ذلك ما رواه مَحْمُودَ بْنَ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ -وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ- أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي، وَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنَّ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ لَهُمْ، وَدِدْتُ أَنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي مُصَلًّى، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» قَالَ: فَأَشَرْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ[1] صَنَعْنَاهُ لَهُ، قَالَ: فَثَابَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ حَوْلَنَا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ ذَوُو عَدَدٍ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟[2] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُلْ لَهُ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ؟» قَالَ: قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّمَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ لِلْمُنَافِقِينَ، قَالَ: فَقَالَ

---

١ - الخَزيرُ : لحمٌ يُقطَّع قِطَعًا صغارًا ثمَّ يطبخ بماءٍ كثير وملح ، فإذا اكتمل نضجُه ذُرَّ عليه الدقيق وعُصِدَ به ، ثم أُدِمَ بإدامٍ مَا. الكتاب: المعجم الوسيط (١/ ٢٣١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، بدون تاريخ.

٢ - مالك بن الدخشن وتروى (الدخشم) بن مالك بن غنم بن عوف، صحابي ممن شهد بدرا.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ "[1]

"لَا تَقُلْ لَـهُ ذَلِكَ أَيْ لَا تَقُلْ فِي حَقِّهِ ذَلِكَ وَقَدْ جَاءَتِ اللَّامُ بِمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ نَحْوَ هَذَا."[2]

"وفي قول النبي ﷺ: [لا تقل ذلك] نهى أن يرمي احد بالنفاق لقرائن تظهر عليه، وقد كان النبي ﷺ يجري على المنافقين أحكام المسلمين في الظاهر، مع علمه بنفاق بعضهم، فكيف بمسلم يرمي بذلك بمجرد قرينة؟
وفيه: أن من رمى أحدا بنفاق، وذكر سوء عمله، فإنه ينبغي أن ترد غيبته، ويذكر صالح عمله؛ ولهذا ذكر النبي ﷺ أنه أن لا اله إلا الله وان محمد عبده ورسوله."[3]

في هذا الأنموذج توجه التصويب النبوي إلى صورة ظنها بعض الصحابة في أخ لهم شهد بدرا، ولم تكن هذه الصورة موافقة للحقيقة والواقع، من ثم توجه التصويب النبوي إلى تلك الصورة ليزيل ما قد يعلق من آثارها السلبية بهذا الصحابي الذي شهد بدرا.
ومن سمات الجمال في هذا التصويب النبوي عدم ذكر النبي ﷺ لتلك الصورة السلبية عند نهيه لأصحابه عن قولها؛ إذ لم يقل:[لا تقل له منافق]، ولكنه قال: [لا تقل له ذلك]، والفرق بين القولين واضح ليس في حاجة إلى مزيد بيان.

---

١ - صحيح مسلم (١/ ٤٥٥)
٢ - شرح النووي على مسلم (٥/ ١٦٠)
٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري = فتح الباري لابن رجب (٣/ ١٨٨) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (٧٩٥هـ) تحقيق: ١– محمود بن شعبان بن عبد المقصود.٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي.٣- إبراهيم بن إسماعيل القاضي. ٤- السيد عزت المرسي. ٥- محمد بن عوض المنقوش. ٦- صلاح بن سالم المصراتي. ٧- علاء بن مصطفى بن همام. ٨- صبري بن عبد الخالق الشافعي. مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م.

ومن نماذج التصويبات النبوية التي وجهت عنايتها إلى الصورة ما رواه عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً، فَكُنْتُ فِيمَنْ حَاصَ، قَالَ: فَلَمَّا بَرَزْنَا قُلْنَا: كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ فَرَرْنَا مِنَ الزَّحْفِ وَبُؤْنَا بِالْغَضَبِ؟ فَقُلْنَا: نَدْخُلُ الْمَدِينَةَ فَنَتَثَبَّتُ فِيهَا وَنَذْهَبُ وَلَا يَرَانَا أَحَدٌ. قَالَ: فَدَخَلْنَا فَقُلْنَا: لَوْ عَرَضْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ كَانَتْ لَنَا تَوْبَةٌ أَقَمْنَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ذَهَبْنَا. قَالَ: فَجَلَسْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: نَحْنُ الْفَرَّارُونَ. فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «لَا. بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ». قَالَ: فَدَنَوْنَا فَقَبَّلْنَا يَدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ»[1]

"[فَحَاصَ الْمُسْلِمُونَ حَيْصَةً] أَيْ: جَالُوا جَوْلَة يَطْلُبون الفِرَار. والمَحِيص: المَهْرب والمَحِيد."[2]

"يقال: حاص الرجل عن الشيء إذا حاد عنه حذرا أو خوفا."[3]

"قَالَ الْقَاضِي: أي فمالوا ميلة من الحيص وهو الميل، فإن أراد بالناس أعداءهم فالمراد بها الحملة، أي حملوا علينا حملة وجالوا فانهزمنا عنهم وأتينا المدينة. وإن أراد به السرية فمعناها الفرار والرجعة، أي مالوا عن العدو ملتجئين إلي المدينة. ومنه قوله تعالي: (وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً) [النساء : ١٢١] أي محيداً ومهرباً."[4]

---

١ - سنن أبي داود (٣/ ٤٦)

٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٦٨) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣ - غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٣٢) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨ هـ) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٤ - شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٧٠٧)

وتعقبه الطيبي فقال: "المعنى الأول لا تساعد عليه اللغة، اللهم إلا أن يعدل إلي المجاز إما بوضع أحد الضدين موضع الآخر أو لما أن في الحيدودة والجولة نوع ميلان. ولعله حمله علي ذلك إطلاقه وعدم تقييده بعن، والاختلاف في العبارة؛ حيث عدل من الغيبة إلي التكلم وجعله قرينة للمجاز ولم يلتفت إلي الالتفات الذي طبق المفصل وأصاب المخبر. فقال أولا: [الناس] إيذاناً بأنه لم يكن الفرار منه ولم يرض به، وثانياً [فأتنيا] دلالة وإشعار بأن التحيز والاعتصام كان منه وهو السبب فيه."[1]

"قوله: أنتم العَكَّارون، يريد أَنتُم الكَرَّارُون، والعَكْرُ الانْصراف بعد المُضيّ. يقال: عَكَرْتُ عَلَى الشيء بمعنى عَطفتُ عليه. قَالَ الشاعر[2]:

لما رأيت النفس جاشت عكرتها ⋆⋆⋆ على مسحل وأي ساعة معكر"[3]

"(أَنْتُم العَكَّارُون، لاَ الفَرّارُون) أَي: الكَرّارُون إِلَى الحَرْب والعَطَّافُون نَحْوَها، يُقال للرَّجُل يُوَلِّي عَنِ الحَرْب ثُمَّ يكُرُّ رَاجعاً إِلَيْهَا: عَكَرَ واعْتَكَرَ. وعَكَرْتُ عَلَيْهِ إِذَا حَملْتَ."[4]

---

١ - شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٧٠٨)

٢ - الشاعر هو شُرَيْح بن قِرْواشٍ الْعَبْسِي، والبيت في حماسة أبي تمام (٢٣٢/١) أَبو تَمّام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١ هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، جامعة محمد بن سعود (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ومعنى البيت: لما تحركت حميتي وغلب نفسي، حتى كادت تثور من مقرها فتجري أنفةً وامتعاضاً، عطفتها على صاحبي مسحلٍ وفي أي وقتٍ معطفٍ فعلت ذلك. وهذا تفظيعٌ للشأن، وتفخيمٌ للأمر. فإذا رويت " وأي ساعة معكرٍ " بالرفع يكون مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: وأي ساعة معكر ومكر تلك الساعة. وإذا رويته بالنصب يكون ظرفاً، ويكون العامل فيه مضمراً، كأنه قال: وعكرت أي وقت معكر. ومعنى عكر: عطف. شرح ديوان الحماسة (ص: ٢٩٦) أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (٤٢١هـ) تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣ - غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٣١)

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٨٣)

"يريد أنتم العائدون إلى القتال والعاطفون عليه، يقال عَكَرت على الشيء إذا عطفت عليه وانصرفت إليه بعد الذهاب عنه."[1]

"وقوله ﷺ إنا فئة المسلمين يمهد بذلك عذرهم وهو تأويل قوله: (أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ)[الأنفال : ١٦]." [2]

"وأصْل الفَيْء: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: فَاءَ يَفِيءُ فِئَةً وفُيُوءاً، كَأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ لَهُمْ فرَجَع إِلَيْهِمْ."[3]

يتضح لنا مما سبق أن الصحابة الذين رجعوا من السرية ظنوا أنهم قد فروا من المعركة، وأنهم واقعون تحت طائلة قوله تعالى: (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [الأنفال : ١٦]

وكان خوفهم عظيما جراء هذه الصورة التي ظنوها في أنفسهم، وانتظروا رسول اللهﷺ ليعرضوا عليه هذا الأمر، ولما عرضوا عليه ذلك بقولهم: [نَحْنُ الْفَرَّارُونَ] رفض ﷺ هذه الصورة، ولم يقبلها منهم، ولم يرضها لهم، فقال لهم: [لا] وفي هذا النفي رفض واضح لتلك الصور، وبيان صريح لعدم رضاه عنها، ثم قال: [بل] يمهد بهذا الإضراب للصورة التي عليها حقيقتهم وتمثل واقعهم، فقال: [أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ] توضيح وبيان لما ينبغي لهم أن يتصوروه عن أنفسهم بعد أن ينفوا عنها تلك الصورة السابقة، وذلك من الأدلة البالغة والحجج الدامغة على عناية التصويبات النبوية بالصورة ورعايتها لها.

ومن النماذج التي راعت فيها التصويبات النبوية الصورة تقييما وتقويما ما روي عَنْ أَبِي عُقْبَةَ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُحُدًا، فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقُلْتُ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْفَارِسِيُّ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «فَهَلَّا قُلْتَ خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ»[4]

---

١ - معالم السنن (٢/ ٢٧٣)
٢ - معالم السنن (٢/ ٢٧٣)
٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٨٢)
٤ - سنن أبي داود (٤/ ٣٣٢)، سنن ابن ماجة (٢/ ٩٣١)، مسند أحمد (٣٧/ ١٩٣)

"قوله: [خُذْها مِنِّي] عادةُ المحاربين إذا جَرَّحُوا أحدًا أن يخبرَ الجارحُ المجروحَ باسمه؛ لإظهارِ الشجاعةِ بأن يقول: أنا الذي جَرَحْتُكَ، وأنا فلانُ ابن فلان، من القوم الفلاني، فلمَّا انتسبَ هذا الراوي إلى أهل فارسَ، فنهاه رسول الله ﷺ عن الانتسابِ إلى الكفار؛ لأن أهلَ فارس كانوا كفارًا في ذلك الوقت."[1]

"أي إذا افتخرت بشرف النسبة، فانتسب إلى الذين هاجرت إليهم ونصروني وهم الأنصار. أقول: من عادة المحاربين عند إظهار الشجاعة إذا أصابوا في ضربتهم أو طعنتهم، يقولون: هذه الكلمة على سبيل التهكم، نحو قوله: (تحيّةُ بَينِهم ضربٌ وَجيعُ).[2]

"أي خذ مني هذه العطية. فقوله: «أنا الغلام الفارسي» تنبيه على أن الضارب شديد الساعد متمكن من الضربة. وقوله ﷺ له ذلك القول إرشاداً له إلى أبلغ من ذلك، أي قل: أنا من أنصار دين الله -تعالى- وإن الله هو الذي يؤيدني بنصره."[3]

"إِذَا افْتَخَرْتَ عِنْدَ الضَّرْبِ، فَانْتَسِبْ إِلَى الْأَنْصَارِ الَّذِينَ هَاجَرْتُ إِلَيْهِمْ وَنَصَرُونِي، وَكَانَ فَارِسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كُفَّارًا فَكَرِهَ الِانْتِسَابَ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُ بِالِانْتِسَابِ إِلَى الْأَنْصَارِ لِيَكُونَ مُنْتَسِبًا إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ مِمَّا عَدَا الْمُهَاجِرِينَ قَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْأَنْصَارُ، وَلَيْسُوا بِمَخْصُوصِينَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ كَمَا يُتَوَهَّمُ، وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْعُمُومُ وَالشُّمُولُ لِلصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) [التوبة: ١٠٠]"[4]

"قد عُلم من هَذَا أن الانتساب إلى الْجَاهِلِيَّة غير مَحْمُود فَإِن أهل فَارس كَانُوا مُشْرِكين وَالْأَنْصَار شعار النَّبِي ﷺ فَيَنْبَغِي لكل مُسلم أن لَا يفتخر بِأَهْل الْجَاهِلِيَّة وَعلم مِنْهُ أَيْضا أن الْأَنْصَارِيَّة لَيست مُخْتَصَّة بأوس وخزرج، بل كل

---

١ - المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ١٩٩-٢٠٠)

٢ - هذا عجز بيت (من الوافر) لعمرو بن معدي كرب صدره: وخيلٍ قد دَلَفتُ لها بِخَيلٍ. ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي (ص ٤٩) جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣ - شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣١٥١-٣١٥٢)

٤ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٧٦)

من نصر الْإِسْلَام فَهُوَ أَنْصَارِي، وَإِنَّمَا صَارَت الشُّهْرَة بِهَذَا اللقب لِلْأَوْسِ والخزرج للغلبة"[1]

يتضح مما سبق أن أبا عقبة لما صور نفسه بتلك الجملة الحالية «أنا الغلام الفارسي» لم تنل هذه الصورة رضا نبينا ﷺ فالتفت إليه ليهيأه بذلك لما يُلقى إليه من توجيه ابتدأه بأداة التحضيض [هلاَّ] ليحثه حثاً قوياً على التمثل بتلك الصورة التي يريد أن يلقيها إليه، وفي باطن هذا التحضيض لوم خفي على تركها، وبهذا تبرز أهميتها وقيمتها كما يظهر ما في الصورة السابقة من قصور عن الغاية وبعد عن الهدف، فَقَالَ: «فَهَلَّا قُلْتَ خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ» وتصويره بالأنصاري قد يكون إرادة للمعنى العام لذلك الوصف الذي يشمل كل من ينصر دين الله -كما سبق بيانه- أو إرادة للمعنى الخاص على أنه مولى للأنصار، ومولى القوم منهم كما جاء في إحدى الروايات: "فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ: الْأَنْصَارِيَّ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ "[2]

بهذا ندرك مدى حرصه ﷺ على خروج الصورة في أبهى حللها، انسجاما مع تمليه معطيات الواقع الجديد، وتآلفا مع آثار متغيراته الحديثة، فتنبض بمشاعر تنطلق من هذا الميدان، وتفيض بأحاسيس تصدر عن هذا الوجدان.

ومن النماذج التي كانت رعاية الصورة فيها هدفا للتصويبات النبوية ما ورد "عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ الْمَوْتُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: هَنِيئًا لَهُ. مَاتَ وَلَمْ يُبْتَلَ بِمَرَضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ، وَمَا يُدْرِيكَ، لَوْ أَنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ يُكَفِّرُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»"[3]

---

١ - مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة (ص: ٢٠٠) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ضمن مجموعة شروح لسنن ابن ماجة، الناشر: قديمي كتب خانة – كراتشي(بدون تاريخ).

٢ - المصنف في الأحاديث والآثار = مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٨) أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (٢٣٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣ - موطأ الإمام مالك (٢/ ٩٤٢) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ م.

"قَوْلُ الرَّجُلِ فِي الَّذِي مَاتَ هَنِيئًا لَهُ مَاتَ وَلَمْ يُبْتَلَ بِمَرَضٍ يَغْبِطُهُ بِحَالِهِ فِي سَلَامَتِهِ مِنْ الْمَرَضِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ غِبْطَةٌ فِي الدُّنْيَا خَاصَّةً فَقَالَ: لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – وَيْحَك عَلَى مَعْنَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ وَالْإِغْلَاظِ لَهُ وَمَا يُدْرِيك يُرِيدُ وَمَا عَلَّمَك لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ يُكَفِّرُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ يُرِيدُ – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ – مَا يُدْرِيك أَنَّ هَذَا أَفْضَلُ وَأَنَّ مَا يُكَفِّرُ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَلَامَتِهِ مِنْ الْأَمْرَاضِ مَعَ بَقَاءِ سَيِّئَاتِهِ."[1]

"فَإِنَّ غَيْرَ الْمَعْصُومِ لَا يَخْلُو غَالِبًا مِنْ مُوَاقَعَةِ السَّيِّئَاتِ، فَالْمَرَضُ مُكَفِّرٌ لَهَا، أَوْ رَافِعٌ لِلدَّرَجَاتِ، وَكَاسِرٌ لِشَمَاخَةِ النَّفْسِ."[2]

"وَيْحَ: كَلمةُ تَرَحُّمٍ وتَوَجُّعٍ."[3]

"أَيْ: لَا تَمْدَحْ عَدَمَ الْمَرَضِ، وَإِنَّمَا تَرَحَّمْ عَلَيْهِ لِعُذْرِهِ فِي ظَنِّهِ أَنَّ عَدَمَ الْمَرَضِ مَكْرُمَةٌ. (مَا يُدْرِيكَ) أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ يُعْلِمُكَ أَنَّ فَقْدَ الْمَرَضِ مَكْرُمَةٌ؟ (لَوْ أَنَّ اللَّهَ) قَالَ الطِّيبِيُّ[4]: " لَوْ " لِلتَّمَنِّي ؛ لَأَنَّ الِامْتِنَاعِيَّةَ لَا تُجَابُ بِالْفَاءِ أَيْ: لَا تَقُلْ هَنِيئًا لَهُ، لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ. [ابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ] وَيَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ لَوِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ. [فَكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ]: وَعَلَى الْأَوَّلِ مَا يُدْرِيكَ مُعْتَرِضَةٌ، وَعَلَى الثَّانِي مُتَّصِلَةٌ بِمَا بَعْدَهَا."[5]

"وفي الحديث أن الابتلاء بالمصائب طب إلهي يداوي به الإنسان من أمراض الذنوب."[6]

---

١ - المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٢٥٩)

٢ - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤/ ٥١٥) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٣٥)

٤ - شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٤/ ١٣٥٥)

٥ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٤٧)

٦ - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢٧١) أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية – بنارس – الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

يُفهم من كل هذا خطأ الصورة التي في ذهن المتكلم تجاه عدم المرض، وجرص النبي ﷺ على بيان هذا الخطا وتصويبه تصويبا يصحح تلك الصورة الخاطئة، ويقر في الأذهان ما ينبغي أن يكون فيها من تصور تجاه المرض وعدم المرض.

ومن النماذج التي توجه فيها النقد النبوي إلى الصورة -أيضا- ما رُوي عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[1]

"وعلَّةُ نهيه – ﷺ – تلك الجاريةَ عن التكلم بقولها: (وفينا رسولُ الله يَعلمُ ما في غد) أنه – ﷺ – كرهَ أن يقولَ أحدٌ: إنه – ﷺ – يَعلمُ الغيبَ مطلقًا؛ لأنَّ الغيبَ لا يَعلمُه إلا الله، بل يجب أن يُقال: يَعلمُ رسولُ الله – ﷺ – من الغيب ما أَخبرَه الله به."[2]

"وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهَا مَا ذُكِرَ مِنَ الْإِطْرَاءِ حَيْثُ أَطْلَقَ عِلْمَ الْغَيْبِ لَهُ وَهُوَ صفة تخْتَص بِاللَّه -تَعَالَى- كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) [النمل : ٦٥] وَقَوْلُهُ لِنَبِيِّهِ: (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ([الأعراف : ١٨٨] وَسَائِرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ بِإِعْلَامِ اللَّهِ -تَعَالَى- إِيَّاهُ، لَا أَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِعِلْمِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ) [الجن : ٢٦-٢٧] "[3]

"فإن كان بإطلاع من الله لبعض رسله، كان مخصوصا من هذا العموم، كما أطلع النبي ﷺ على كثير من الغيوب المستقبلة، وكان يخبر بها. فبعضها

---

١ - صحيح البخاري (٥/ ٨٢)
٢ - المفاتيح في شرح المصابيح (٤/ ٣٤)
٣ - فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٠٣)

يتعلق بكسبه، مثل إخباره أنه يقتل أمية بن خلف، وأخبر سعد بن معاذ بذلك أمية بمكة، وقال أمية: والله، ما يكذب محمد. وأكثره لا يتعلق بكسبه، مثل إخباره عن الصور المستقبلة في أمته وغيرهم، وهو كثير جدا.
وقد أخبر بتبوك، أنه[تهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومن أحد] وكان كذلك. والاطلاع على هبوب بعض الرياح نظير الاطلاع على نزول بعض الأمطار في وقت معين."[1]
"اعتقاد أهل السنة والجماعة أن علمه اطلاعي، وأنه أعلم الأولين والآخرين، وقال بعض الجهلة: إن علم الباري وعلمه متساويان، والفرق أن علمه عرضي وعلم الباري ذاتي، أقول: هذا ادعاء الباطل المحض فإن علمه متناه، وعلم الباري غير متناه فلا نسبة بين المتناهي وغير المتناهي."[2]
ندرك مما سبق أن النهي توجه بسبب عدم رضاه ﷺ عن تصويره بأنه يعلم الغيب المطلق، إذ أن ذلك يجافي الحقيقة ويختلف مع ما قررته آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من نسبة الغيب المطلق إلى الله وحده، لذا سارع -ﷺ- بالنهي عن هذا القول المشتمل على تلك الصورة.

ورأى بعض العلماء أن هذه الصورة قد لا تشتمل صراحة على نسبة الغيب المطلق للنبي ﷺ لذا رأوا أنه قد يكون بجانب هذا السبب سبب آخر للنهي ألا وهو عدم رضاه عن ورود تلك الصورة في سياقها الذي وردت فيه، فقال المُظْهِري (٧٢٧ هـ): "ويُحتمَل أن تكونَ كراهيته ذلك الكلام أن وصفَه ﷺ في أثناء ضربِ الدُّفِّ، وفي أثناء مَرثيةِ أولئك المقتولين لا يليق بمنصبهِ ﷺ، بل هو أجلُّ وأشرفُ من أن تذكر هذه العبارة في أثناء ضربِ الدُّفِّ."[3]

---

١ - فتح الباري لابن رجب (٩/ ٢٧١)
٢ - العرف الشذي شرح سنن الترمذي (٢/ ٣٥٨-٣٥٩) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (١٣٥٣هـ) تصحيح: الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣ - المفاتيح في شرح المصابيح (٤/ ٣٤-٣٥)

وتابعه القسطلاني (٩٢٣هـ) فقال: "وأيضًا يحتمل أن يكون المنع أن يوصف ﷺ في أثناء اللعب واللهو إذ منصبه أجلّ وأشرف من أن يذكر إلا في مجالس الجد."[١]

وهذا الاحتمال بعيد للزيادة التي وردت بعد النهي من رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ في سنن ابن ماجة: «أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ»[٢]

وقد جعل الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) هذه الزيادة إشارة إلى علة المنع فقال: "زَادَ فِي رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ (لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّه) فَأَشَارَ إِلَى عِلَّةِ الْمَنْعِ"[٣]

وقال المباركفوري (١٣٥٣هـ) بعد عرض الرأيين: "الْمُعْتَمَدُ هُوَ الْأَوَّلُ لِمَا وَرَدَ بِهِ التَّصْرِيحُ فِي رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ"[٤]

بهذا يتأكد أن سبب النهي عدم قبول النبي ﷺ لتلك الصورة التي توحي بأنه يعلم مطلق الغيب، وهذا يبين -كما تقدم- مدى حرصه على سلامة الصورة في أقوال أصحابه مما قد يقدح فيها من مخالفة للحقيقية أو مجافاة للواقع أو بعد عن الصواب حتى لو كانت تلك الصورة تتعلق بمدحه أو الثناء عليه.

تبين لنا -من كل هذا- كيف اتجهت التصويبات النبوية إلى الصورة، وبرز لنا مدى اهتمامه ﷺ بالصورة وقيمتها في كلام الصحابة، فوجه تصويباته إلى ما يحتاج منها إلى تصويب ، لتكون الصورة قرينة الكلمة والأسلوب في تلك الاتجاهات.

---

١ - شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ٥٩)

٢ - سنن ابن ماجة (١/ ٦١١)

٣ - فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٠٣)

٤ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٤/ ١٨٠) أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية – بيروت. بدون تاريخ.

الفصل الثاني
أهم الأهداف النقدية للتصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية

تعددت وتنوعت الأهداف النقدية التي جاءت من أجلها التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية، فكان من بينها رعاية حال المتكلم، ورعاية حال المخاطب، ورعاية المقام الذي قيل فيه الكلام، ورعاية العرف اللغوي الذي ارتضته واختارته الجماعة اللغوية، ولا غرو أن رعاية هذه الأمور من أبرز المقاييس التي تقاس بها بلاغة الكلام وجودته، وفيما يلي بيان كل من هذه الأهداف.

أولا: رعاية حال المتكلم

المتكلم هو صاحب الكلام وقائله، وتتنوع أحواله تبعا للظروف التي يمر بها، وهذا يقتضي أن يتنوع تعبيره تبعا لتنوع تلك الأحوال، ومطابقته بين حاله وبيانه مظهر من مظاهر بلاغتة العالية، وقد يحدث أن لا يراعي بعضهم حال نفسه في كلامه، فتأتي التصويبات النبوية لتنبه على هذا الخطأ، وتنوه إلى ما ينبغي للمتكلم من رعاية حاله في كلامه.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1]

---

١ - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢)، سنن ابن ماجة (١/ ٣١)

"إِنَّ الَّذِي يَتَعَيَّنُ بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّـهِ وَالرِّضَا بِمَا قَدَّره الله – تعالى– وَالْإِعْرَاضُ عَنْ الِالْتِفَاتِ لِمَا مضى وفَاتَ. فَإِنَّهُ افتكر فِيمَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ وقَالَ: "لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا" جَاءَتْهُ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ، ولا تَزَالُ بِهِ حَتَّى يُفْضِيَ به إلَى الْخُسْرَانِ؛ لتعَارِض توهم التَّدْبِيرِ سَابِق الْمَقَادِيرِ وَهَذَا هُوَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ الذي نهى عَنْه النبي –ﷺ– بِقَوْلِهِ: [فَلَا تَقُلْ: لَوْ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ]"[1]

"أَرْشَدَهُ إِلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: «قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ لَوْ كُنْتُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَفُتْنِي مَا فَاتَنِي، أَوْ لَمْ أَقَعْ فِيمَا وَقَعْتُ فِيهِ، كَلَامٌ لَا يُجْدِي عَلَيْهِ فَائِدَةً الْبَتَّةَ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقْبِلٍ لِمَا اسْتَدْبَرَ مِنْ أَمْرِهِ، وَغَيْرُ مُسْتَقِيلٍ عَثْرَتَهُ بِـ [لَوْ] وَفِي ضِمْنِ [لَوِ] ادِّعَاءُ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَمَا قَدَّرَهُ فِي نَفْسِهِ لَكَانَ غَيْرَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَقَدَّرَهُ وَشَاءَهُ، فَإِنَّ مَا وَقَعَ مِمَّا يَتَمَنَّى خِلَافَهُ، إِنَّمَا وَقَعَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَإِذَا قَالَ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ خِلَافَ مَا وَقَعَ فَهُوَ مُحَالٌ، إِذْ خِلَافُ الْمُقَدَّرِ الْمَقْضِيِّ مُحَالٌ، فَقَدْ تَضَمَّنَ كَلَامُهُ كَذِبًا وَجَهْلًا وَمُحَالًا، وَإِنْ سَلِمَ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْقَدَرِ، لَمْ يَسْلَمْ مِنْ مُعَارَضَتِهِ بِقَوْلِهِ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَدَفَعْتُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ.

فَإِنْ قِيلَ: لَيْسَ فِي هَذَا رَدٌّ لِلْقَدَرِ وَلَا جَحْدٌ لَهُ، إِذْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الَّتِي تَمَنَّاهَا أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ وَقَفْتُ لِهَذَا الْقَدَرِ لَانْدَفَعَ بِهِ عَنِّي ذَلِكَ الْقَدَرُ، فَإِنَّ الْقَدَرَ يُدْفَعُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، كَمَا يُدْفَعُ قَدَرُ الْمَرَضِ بِالدَّوَاءِ، وَقَدَرُ الذُّنُوبِ بِالتَّوْبَةِ، وَقَدَرُ الْعَدُوِّ بِالْجِهَادِ، فَكِلَاهُمَا مِنَ الْقَدَرِ.

قِيلَ: هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنَّ هَذَا يَنْفَعُ قَبْلَ وُقُوعِ الْقَدَرِ الْمَكْرُوهِ، وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى دَفْعِهِ أَوْ تَخْفِيفِهِ بِقَدَرٍ آخَرَ، فَهُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: لَوْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ، بَلْ وَظِيفَتُهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يَسْتَقْبِلَ فِعْلَهُ الَّذِي يَدْفَعُ

---

١ - المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم (٦٨٣/٦)

بِهِ، أَوْ يُخَفِّفَ أَثَرَ مَا وَقَعَ، وَلَا يَتَمَنَّى مَا لَا مَطْمَعَ فِي وُقُوعِهِ، فَإِنَّهُ عَجْزٌ مَحْضٌ، وَاللَّهُ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَيُحِبُّ الْكَيْسَ وَيَأْمُرُ بِهِ
وَالْكَيْسُ: هُوَ مُبَاشَرَةُ الْأَسْبَابِ الَّتِي رَبَطَ اللَّهُ بِهَا مُسَبِّبَاتِهَا النَّافِعَةَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَهَذِهِ تَفْتَحُ عَمَلَ الْخَيْرِ، وَأَمَّا الْعَجْزُ، فَإِنَّهُ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ إِذَا عَجَزَ عَمَّا يَنْفَعُهُ، وَصَارَ إِلَى الْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ بِقَوْلِهِ: لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ فَعَلْتُ كَذَا، يَفْتَحُ عَلَيْهِ عَمَلَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ بَابَهُ الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ."[1]

"وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ غَيْرُ مَا أُقِيمَ فِيهِ، وَحِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ أَقَامَاهُ فِي مَقَامِهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ سِوَاهُ، وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَتَخَطَّاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ مَوَاقِعَ عَطَائِهِ وَفَضْلِهِ، وَ (اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[الأنعام : ١٢٤] (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام: ٥٣] فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- أَعْلَمُ بِمَوَاقِعِ الْفَضْلِ، وَمَحَالِّ التَّخْصِيصِ، وَمَحَالِّ الْحِرْمَانِ، فَبِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ أَعْطَى، وَبِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ حَرَمَ، فَمَنْ رَدَّهُ الْمَنْعُ إِلَى الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَتَمَلُّقِهِ، انْقَلَبَ الْمَنْعُ فِي حَقِّهِ عَطَاءً، وَمَنْ شَغَلَهُ عَطَاؤُهُ، وَقَطَعَهُ عَنْهُ انْقَلَبَ الْعَطَاءُ فِي حَقِّهِ مَنْعًا، فَكُلُّ مَا شَغَلَ الْعَبْدَ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ مَشْئُومٌ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا رَدَّهُ إِلَيْهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ بِهِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يَقَعُ الْفِعْلُ حَتَّى يُرِيدَ سُبْحَانَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنَّا الِاسْتِقَامَةَ دَائِمًا، وَاتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّ هَذَا الْمُرَادَ لَا يَقَعُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ إِعَانَتَنَا عَلَيْهَا، وَمُشِيئَتَهُ لَنَا، فَهُمَا إِرَادَتَانِ: إِرَادَةٌ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَفْعَلَ وَإِرَادَةٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْفِعْلِ إِلَّا بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ، وَلَا يَمْلِكُ مِنْهَا شَيْئًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٢٥-٣٢٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

أَن يَشَاءَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير : ٢٩] فَإِنْ كَانَ مَعَ الْعَبْدِ رُوحٌ أُخْرَى، نِسْبَتُهَا إِلَى رُوحِهِ، كَنِسْبَةِ رُوحِهِ إِلَى بَدَنِهِ، يَسْتَدْعِي بِهَا إِرَادَةَ اللَّهِ مِنْ نَفْسِهِ، أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ فَاعِلًا، وَإِلَّا فَمَحَلُّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْعَطَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنَاءٌ يُوضَعُ فِيهِ الْعَطَاءُ، فَمَنْ جَاءَ بِغَيْرِ إِنَاءٍ رَجَعَ بِالْحِرْمَانِ، وَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ."[1]

لا يعلم الإنسان دائما ما يكون فيه صلاح حاله من قول أو فعل، نتعلم هذا من قول الله تعالى: (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ) [الإسراء : ١١]
وقوله –تعالى–: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [البقرة : ٢١٦]
وقوله –تعالى–:(فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) [النساء : ١٩]

بعض الناس عندما تصيبه مصيبة ما –أعاذني الله وإياك– تراه يتمنى أن يعود الحال إلى ما قبل وقوع المصيبة، ويسرف في هذا التمني، ويعيد ترتيب الأحداث في نفسه بطريقة يتجنب فيها وقوع المصيبة التي وقعت بالفعل، وهذا لن يزيده إلا حزنا على حزنه، وألما على ألمه، وغما على غمه، حتى يكاد يذهب عقله، فهذا القول الذي توجه إليه النهي النبوي الشريف [فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا] هذا القول لن يغير من واقع المصيبة شيئا، بل يزيد صاحبه حزنا، وقد يسترسل في هذا وهو لا يدرك ضرره حتى يفضي به إلى الجنون، من هنا ندرك قيمة النهي النبوي الشريف عن هذا التمني الذي يستحيل حدوثه.

---

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٢٩)

ولما كان الصبر والرضا هو مفتاح تجاوز المصيبة دعا الأمر النبوي الشريف «وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ » دعا إلى الالتجاء إلى الإيمان بالله وقدره وحكمته الملازمة لقدره وإن خفيت، لأن هذا الإيمان بالقدر فيه طمأنينة للقلب وسكينة للنفس وراحة للروح.

يتضح من هذا أن النبي ﷺ قد راعى بهذا التصويب النبوي الشريف –نهيا وأمرا– راعى حال المتكلم من خلال هذا التوجيه الحكيم إلى ما يبعده عن الضرر ويقربه من الصلاح والفلاح.

ومن النماذج التي راعت فيها التصويبات النبوية حال المتكلم وجعلته هدفا من أهدافها ما رواه أَنَس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ –أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ– أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ."[1]

"في هذا الحديث ما يدل على أنه لا يدعو الإنسان بدعاء حتى يكون ذلك الدعاء قد ورد عن النبي ﷺ إذ هو بحمد الله مؤيد بالعصمة مسدد من قبل الرب –سبحانه وتعالى– يرى من ورائه كما يرى من بين يديه، وهذا الداعي لم يؤت إلا من سوء اختياره، ولو كان قد دعا بدعاء قد آثره عن النبي – ﷺ – مما يحترز فيه لكل داع في حاضره ومستقبله وشاهده وغائبه لكان قد وفق، ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما رأى من مرض هذا الشخص الذي كان ببدنه ناشئًا عن مرضه الذي هو سوء تدبيره لنفسه، داواه بما علمه من سؤال

---

١ - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٨)، سنن الترمذي (٥/ ٥٢١)

الحسنة في الدنيا حسنة وفي الآخرة، فجمع له بين الحسنتين، ينقل إحداهما إلى الأخرى فشتان ما بين الاختيارين.

وفيه دليل على أنه لا يتعرض الإنسان لربه -تبارك وتعالى- بإظهار الجلد على سوط من سياط عذابه، ولا التقاوي لنفخة من نفخات انتقامه، بل يسأل الله العافية، وليكن في عافيته كالمحس أشد عذاب في كل نوع من أنواع الانتقام لتلا يكون ممن لا يعرف العذاب حتى يقع فيه، ولا يصدق بكونه حتى ينزل به."[1]

"فيه جواز التسبيح عند العجب من الأمر، وفيه كراهة تمنى البلاء وإن كان على الوجه الذي فعله هذا، فإنه قد لا يطيقه فيحمله شدة الضرر على السخط والتندم والتشكي من ربه، وفيه أن الدعاء بما قصه -عليه السلام- أفضل لعامة الناس وأسلم"[2]

في هذا الأنموذج من التصويب النبوي والتوجيه المحمدي تظهر رعاية حال المتكلم واضحة أشد الوضوح، بل لا تحتاج إلى مزيد بيان، فمقولة الرجل :"اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا" كادت أن تهلكه، ولهذا كان تعجب النبي -صلي الله عليه وسلم-: «سُبْحَانَ اللهِ» فدلَّه ﷺ على ما فيه صلاح حاله ظاهرا وباطنا حالا ومآلا: «أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» وبهذا نزداد يقينا بالمدى الذي بلغته التصويبات النبوية في اتخاذها من حال المتكلم هدفا أولته حسن رعايتها وجميل عنايتها.

---

١ - الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٤٩-٣٥٠) أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ (٥٦٠هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن - الرياض ، ١٤١٧هـ.

٢ - إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (٨/ ١٨٦)

ثانيا: رعاية حال المخاطب

قال السهيلي (٥٨١هـ): "اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو (بخط) ، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم."[١]

يتضح لنا من هذا أهمية المخاطب في العملية الكلامية، وأنه ركن أساس من أركانها، لذا كانت رعاية حال المخاطب واجبا من واجبات المتكلم، فإذا ما ورد في قول أحدهم تقصير عن هذا جاءت التصويبات النبوية لتسد خلله، وتقوم ميله.

من الأمثلة على ذلك ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو"[٢]

"اختلفت الأقاويل في معنى قولنا [السلام عليك] فمن قائل: إن معناه الإعلام لصاحبه بالسلامة من ناحيته والأمن من شره وغائلته، ومن قائل: إن معناه

١ - نتائج الفكر في النحو (ص: ١٧٠) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢ - صحيح البخاري (١/ ١٦٧)

الدعاء، أي سلمت من المكاره، ومن قائل: إن معناه اسم السلام عليك كأنه تبرك عليه باسم الله.

قلت[1] وأمثل هذه الوجوه الثلاثة أن يحمل كل على معنى الدعاء؛ لأنا إذا ذكرنا السلام لم يكن لنا أن نذهب إلى أن معناه اسم الله عليك، وبالتنكير ورد التنزيل؛ قال الله -سبحانه-: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً) [مريم : ١٥]

وإذا قلنا: السلام علينا، أو سلمنا به على بعض الأموات لم يكن لنا أن نذهب إلى أن المراد منه هو الإعلام بالسلامة؛ فإن ذلك إنما يصح في حق الغير من الأحياء، فالوجه فيه أن نقول هو دعاء بالسلامة لصاحبه من آفات الدنيا ومن عذاب الآخرة، وضعه الشارع موضع التحية والبشرى بالسلامة وأمارة للسلم بين الداعي والمدعو له؛ ثم إنه اختار لفظ السلام وجعله تحية لأهل ملته لما فيه من المعاني، ولأنه مطابق للسلام الذي هو اسم من أسماء الله تيمنا به وتبركا.

[لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام] وجه النهي بيِّن ظاهر؛ وذلك لأن الله -عز وجل- هو المرجوع إليه بالمسائل، المتوسل إليه بالدعاء، المتعالي عن المعاني التي ذكرناها في التسليم، فأنى يدعى له وهو المدعو على الحالات، وكيف يتقرب إليه بما هو المسئول عنه على العلات، ولأي معنى يطلق عليه ما يستدعيه حاجة المفطورين وتقتضيه نقائص المربوبين.

---

١ - الكلام للتُّورِبِشْتِي.

وفي قوله: [فإن الله هو السلام] تعليل للنهي أي هو الذي يعطي السلامة ويقررها وإليه المرجع في ذلك، فنزهوه عن نعت هو الغني عنه، ونحن الفقراء إليه."[1]

"[إن الله هو السلام] يريد إن الله هو ذو السلام، فلا تقولوا: السلام على الله، فإن السلام منه بدأ وإليه يعود، ثم علمهم في الدعاء أن يقولوا: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك السلام، والسلام مصدر من سلم يسلم سلامة وسلاما، كما قيل: رضع يرضع رضاعة ورضاعا، ومرجع الأمر في إضافة السلام إلى صفات الله تعالى أنه ذو السلامة من كل نقص وآفة وعيب. وقد يحتمل ذلك وجها آخر، وهو أن يكون مرجعها إلى حظ العبد وحاجته فيما يطلبه ويبتغيه من السلامة من الآفات والمهالك، ولذلك جعل هذا الاسم تحية بين المسلمين وشعارا عند التلاقي ليتحروا بها السلامة بعضهم من بعض، فيعمهم الأمن والسلامة، ولما وجدهم النبي ﷺ يستعملونه في الثناء على الله -عز وجل- أمرهم أن يصرفوه إلى خطاب الخلق لحاجتهم إلى السلامة، والعدول به عن معنى الثناء بذلك على الله -تعالى- لغناه وافتقارهم إليه، وأمر أن يقال في الثناء على الله -عز وجل-: التحيات لله والصلوات والطيبات، فإنها لا تليق بغيره ولا تبتذل في تحية من سواه."[2]

---

١ - الميسر في شرح مصابيح السنة (١/ ٢٥٣-٢٥٤) فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف التُّورِبِشْتِي (٦٦١ هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

٢ - أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ٥٤٨-٥٤٩)

ومن تلك التصويبات النبوية التي جاءت من أجل رعاية خال المخاطب ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ "[1] وفي رواية: " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ "[2]

"مَعْنَاهُ: لَا يَشْتَرِطُ مَشِيئَتَهُ بِاللَّفْظِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مُتَيَقَّنٌ، أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ وَلَا يَصِحُّ غَيْرُ هَذَا، فَلَا مَعْنَى لِاشْتِرَاطِ الْمَشِيئَةِ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُشْتَرَطُ فِيمَنْ يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ دُونَ أَنْ يَشَاءَ بِالْإِكْرَاهِ وَغَيْرِهِ مِمَّا تَنَزَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ - ﷺ - فِي آخِرِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ، أَيْ: يُعْرِبِ دُعَاءَهُ وَسُؤَالَهُ مِنْ لَفْظِ الْمَشِيئَةِ وَيَسْأَلُ سُؤَالَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ: إِنْ شِئْت، نَوْعًا مِنْ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْ مَغْفِرَتِهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِك: إِنْ شِئْت أَنْ تُعْطِيَنِي كَذَا فَافْعَلْ، لَا يُسْتَعْمَلُ هَذَا إِلَّا مَعَ الْغِنَى عَنْهُ، وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعْزِمُ مَسْأَلَتَهُ وَيَسْأَلُ سُؤَالَ فَقِيرٍ مُضْطَرٍّ إِلَى مَا سَأَلَهُ."[3]

"قَالَ الْعُلَمَاءُ: عَزْمُ الْمَسْأَلَةِ الشِّدَّةُ فى طلبها والحزم مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ فِي الطَّلَبِ وَلَا تَعْلِيقَ عَلَى مَشِيئَةٍ وَنَحْوِهَا، وَقِيل: هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاَللَّهِ -تَعَالَى- فِي الْإِجَابَةِ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْجَزْمِ فِي الطَّلَبِ، وَكَرَاهَةُ التَّعْلِيقِ عَلَى الْمَشِيئَةِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ كَرَاهَتِهِ أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ اسْتِعْمَالُ الْمَشِيئَةِ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْإِكْرَاهُ، وَاَللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ فِي

---

١ - صحيح البخاري (٨/ ٧٤)
٢ - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٣)
٣ - المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٥٦-٣٥٧)

آخِرِ الْحَدِيثِ: (فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ). وَقِيلَ: سَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّ فِي هَذَا اللَّفْظِ صُورَةُ الِاستغناء عن الْمَطْلُوبِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْهُ"[1]

"وَالْمُرَادُ: أَنَّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى التَّغْلِيقِ بِالْمَشِيئَةِ مَا إِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ يَتَأَتَّى إِكْرَاهُهُ عَلَى الشَّيْءِ فَيُخَفِّفُ الْأَمْرَ عَلَيْهِ وَيَعْلَمُ بِأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ إِلَّا بِرِضَاهُ وَأَمَّا اللَّهُ –سُبْحَانَهُ– فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِلتَّغْلِيقِ فَائِدَةٌ"[2]

"فيه دليل أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء من الإجابة، ولا يقنط من رحمه الله؛ لأنه يدعو كريمًا."[3]

نعلم من هذا أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك القول لأنه لا يليق أن يُخاطب الله بهذا الخطاب، وبهذا ندرك أهمية مراعاة المخاطب في التصويبات النبوية.

ومن التصويبات التي وردت رعاية لحال المخاطب ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اضْرِبُوهُ". قَالَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا الضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، وَلَكِنْ قُولُوا: رَحِمَكَ اللهُ"[4]

"كَانَت إِقَامَة الْحَد فِي زمن رَسُول الله ﷺ تَارَة بِالْأَيْدِي، وَتارَة بِالْجَرِيدِ، وَتارَة بالثياب، وَكَانَ الْمَقْصُود الإيلام بِالضَّرْبِ."[5]

"وَوَجْهُ عَوْنِهِمُ الشَّيْطَانَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ بِتَزْيِينِهِ لَهُ الْمَعْصِيَةَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْخِزْيُ فَإِذَا دَعَوْا عَلَيْهِ بِالْخِزْيِ فَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَّلُوا مَقْصُودَ الشَّيْطَانِ"[6]

---

١ - شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧)
٢ - فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٤٠)
٣ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٩٩)
٤ - مسند أحمد (١٣/ ٣٦٦)، السنن الكبرى للنسائي (٥/ ١٣٧)
٥ - كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٢٣)
٦ - فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٦٧)

"وقال البيضاوي: لا تدعوا عليه بهذا الدعاء، فإن الله إذا أخزاه استحوذ عليه الشيطان أو لأنه إذا سمع منكم انهمك في المعاصي وحمله اللجاج والغضب على الإصرار فيصير الدعاء وصلة ومعونة في إغوائه وتسويله."[1]

هذا هو الأقرب إلى ظاهر اللفظ، لأن النهي متوجه إلى ما يكون مستقبلا، وليس إلى ما مضى.

من كل ما تقدم ندرك كيف كانت رعاية حال المخاطب هدفا من أهداف التصويبات النبوية، وبهذا تتجلى مدى عناية النبي ﷺ بأقوال أصحابه ومدى حرصه على بلوغها الغاية، وهذا منه ليس بعجيب وعليه ليس بغريب.

ثالثا: رعاية المقام

"مقامات الكلام : الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام، وإذا اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأن اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات."[2]

"فعند تفاوت المقامات تختلف مقتضيات المقام ضرورة أن الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال."[3]

لذا قد يكون الكلام مقبولا في مقام ما غير مقبول في غيره، لذا توجهت بعض التصويبات النبوية بالتقييم والتقويم إلي من لم يراع المقام في كلامه حتى يبلغ

---

١ - شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٤٥١)

٢ - حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للسعد التفتازاني (١٣٣/١) محمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠هـ) مكتبة رشيدية - كراتشي، بدون تاريخ.

٣ - المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (ص ١٥٤) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هندواي، د ار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ.

كلامه الغاية ويكون للمسترشدين آية، من ذلك ما رواه عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ".[1]

قال النووي (٦٧٦هـ) –رحمه الله–:

"قَالَ الْقَاضِي[2] وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ[3] إِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ لِتَشْرِيكِهِ فِي الضَّمِيرِ الْمُقْتَضِي لِلتَّسْوِيَةِ، وَأَمَرَهُ بِالْعَطْفِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ –تَعَالَى– بِتَقْدِيمِ اسْمِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ لِيَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ،[4] وَالصَّوَابُ: أَنَّ سَبَبَ النَّهْيِ أَنَّ الْخُطَبَ شَأْنُهَا الْبَسْطُ وَالْإِيضَاحُ وَاجْتِنَابُ الْإِشَارَاتِ وَالرُّمُوزِ، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ،[5] وَأَمَّا قَوْلُ الْأُولَيَيْنِ فَيُضَعَّفُ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا: أَنَّ مِثْلَ هَذَا الضَّمِيرِ قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَقَوْلِهِ ﷺ: (أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا)[6] وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَإِنَّمَا ثَنَّى الضَّمِيرَ ها هنا لِأَنَّهُ لَيْسَ خُطْبَةَ وَعْظٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلِيمُ

---

١ - صحيح مسلم (٢/ ٥٩٤)

٢ - يعني القاضي عياض بن موسى السبتي (٥٤٤هـ) وقد جاء قوله هذا في كتابه إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (٣/٢٧٥-٢٧٦)

٣ - منهم الخطابي (٣٨٨هـ) في كتاب معالم السنن (٤/ ١٣١) إذ يقول:"إنما كره من ذلك الجمع بين الاسمين تحت حرفي الكناية لما فيه من التسوية."

٤ - لم أجده بهذه الصياغة في كتب الحديث المعتبرة، وإنما وجدته في سنن أبي داود (٤/ ٢٩٥)، مسند أحمد (٣٨/ ٣٧٠)، السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٦١) وغيرها بهذه الصياغة:«لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» وقد تقدم في بداية الكلام عن نقد الأسوب.

٥ - عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا» صحيح البخاري (١/ ٣٠)

٦ - صحيح البخاري (١/ ١٢)

حُكْمٍ فَكُلَّمَا قَلَّ لَفْظُهُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حِفْظِهِ، بِخِلَافِ خُطْبَةِ الْوَعْظِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ حِفْظُهُ، وَإِنَّمَا يُرَادُ الِاتِّعَاظُ بِهَا، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بإسناد صحيح عن ابن مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا"[1] وَاللَّهُ أعلم"[2] انتهى كلام النووي.

وقد تعقب أبو الحسن السندي (١١٣٨هـ) كلام النووي فقال:" وأما ما ذكره النووي في وجه الإنكار أن المطلوب في الخطبة الإيضاح فذلك ضعيف جدا، إذ لو كان ذلك سببا للإنكار لكان في محل حصل فيه بالضمير نوع اشتباه، وأما في محل لا اشتباه فيه فليس كذلك، وإلا لكان ذكر الضمير في الخطبة منكرا منهيا عنه مع أنه ليس كذلك، بل الإظهار في بعض المواضع في الخطب يكون منكرا فتأمل".[3]

وليس الأمر كما زعم السندي، إذ أن افتراضه الذي بنى عليه تضعيفه لكلام النووي مبني على اجتزاء كلام النووي، لأن النووي قال: "وَالصَّوَابُ: أَنَّ سَبَبَ

١ - سنن أبي داود (١/ ٢٨٧)
٢ - شرح النووي على مسلم (٦/ ١٥٩-١٦٠)
٣ - حاشية السندي على صحيح مسلم (٢٩٧-٢٩٨) أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (١١٣٨هـ) تحقيق:على بن أحمد الكندي المرر، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، دولة الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

النَّهْيِ أَنَّ الْخُطَبَ شَأْنُهَا الْبَسْطُ وَالْإِيضَاحُ وَاجْتِنَابُ الْإِشَارَاتِ وَالرُّمُوز" فاجتزأ السندي من مقولة النووي كلمة [الإيضاح] فقط، وبنى عليها افتراضه.

ومما يؤكد صواب ما ذهب إليه النووي -رحمه الله- أن النبي ﷺ قال: (بئس الخطيب أنت) مما يفهم منه أن الذم إنما توجه إلى كلام هذا الشخص بصفته خطيبا، إذ لم يقل له: بئس المتكلم أنت، أو بئس المتحدث أنت، وإنما قال: :(بئس الخطيب أنت) وفي هذا إشارة إلى عدم رعايته للمقام الذي تكلم فيه، ألا وهو مقام الخطابة.

ومما يؤكده أيضا: أنه لم يقل له: (لا تقل: ومن يعصهما) كما في كثير من التصويبات النبوية، وفي هذا دليل على أنه لم ينه عن هذا القول، بل ذم أن يقال هذا القول في هذا المقام.

ومما يؤكده أيضا: أن حديث خطبة الحاجة جاء فيه: (ومن يعصهما) فلو كان الذم موجها إلى القول فقط لامتنع في خطبة الحاجة، ولما لم يكن ثمة اختلاف بين التعبيرين إلا في المقام الذي قيل فيه كل منهما فالأولى اعتبار المقام سببا للنهي، بل ذلك هو الراجح.

وقد يُقال: أليست خطبة الحاجة خطبة؟ ويُجاب على هذا بأن المراد بخطبة الحاجة الثناء على الله ورسوله -صلى الله عيه وسلم- بين يدي الدعاء عند طلب الحاجة، كما هو واضح من الحديث، وليس المراد الوعظ والإرشاد، ومن ثم افترق المقام، فنهى النبي ﷺ عن الإضمار المفضي إلى الإيجاز في مقام البسط، وأضمر هو بنفسه ﷺ في مقام التعليم والتحفيظ، فدل ذلك على حرصه ﷺ على أن يراعي المتكلم المقام فيكون أسلوبه مناسبا لهذا المقام بسطا وإيجازا إظهارا وإضمارا.

ومن الأمثلة على ذلك –أيضا– ما رواه عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ،[1] فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟[2] فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ» ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»، فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ." [3]

قال الخطابي (٣٨٨هـ): "وقوله: (إني مسلم) ثم لم يخله النبي –صلى الله عليه– وسلم مع ذلك لكنه رده إلى دار الكفر فإنه يتأول على أنه قد كان أطلعه الله –سبحانه– على كذبه وأعلمه أنه تكلم به على التقية دون الإخلاص، ألا تراه يقول له: «هَذِهِ حَاجَتُكَ» حين قال: (إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني) وليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ فإذا قال الكافر: إني مسلم، قبل منه إسلامه، ووكلت سريرته إلى ربه، وقد انقطع الوحي وانسد علم باب الغيب.

---

١ - ناقة نجيبة كانت لرجل من بني عُقَيْل (بضم العين وفتح القاف) ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ.

٢ - سابقة الحاج: أراد بها الناقة العضباء؛ لأنها كانت تسبق الحاج في المشي.

٣ - صحيح مسلم (٣/ ١٢٦٢)، سنن أبي داود (٣/ ٢٣٩)

وقوله: «لو كنت قلت ذلك وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح» يريد أنك لو تكلمت بكلمة الإسلام طائعاً راغباً فيه قبل الإسار أفلحت في الدنيا بالخلاص من الرق وأفلحت في الآخرة بالنجاة من النار."[1]

ووافقه المُظْهِري (٧٢٧ هـ) فقال: "وهذا الحديث يدل على أن الكافر إذا قال بعد الأخذ: أنا مسلم، لا يُحكم بإسلامه حتى يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأن قوله: (أنا مسلم) يحتمل أن يريد به: إني منقادٌ مطيعٌ لحكمكم.

والدليل على أن النبي – ﷺ – لم يحكم بإسلامه أنه ردَّه إلى الكفار وأخذ بدله الرجلين الذين أسرتْهما ثقيف من أصحابه، ولو كان مسلمًا لم يردَّه إلى الكفار."[2]

واختلف القاضي عياض (٥٤٤هـ) مع الخطابي فقال: "ليس في الحديث ما يدل أنه رده إلى دار الكفر، وإنما فيه أنه لم يطلق سراحه أولاً وأنه فادى به. فأما أنه لم يطلق سراحه فإنه إنما أسلم بعد الأسر وملك المسلمين له فبقى لهم، وأما المفاداة إذا لم يرد إلى دار الكفر فصواب لا اعتراض فيه؛ لأنه أطلقه من أسر الرق ليطلق أولئك، ثم إن كل واحد منهم بعد الإطلاق موكول إلى حاله من بقائه بالأرض التي أطلق من أسره فيها أو رجوعه إلى أرضه، فقد يحتمل أن النبي ﷺ قد اطلع من صحة إيمانه ووفق بصدق يقينه من حيث فادى، وأطلقه من الرق بإطلاق الآخرين، وبقى هو حر مع المسلمين لم يرجع إلى دار الكفر، فيكون معنى قوله: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ» أي نجوت في الدنيا من الرق وفى الآخرة من النار، لكنك قلتها وقد مُلكت، فأفلحت بالنجاة من النار، ولم يتم فلاحك بالحرية. وأما قوله: (هَذِهِ

---

١ - معالم السنن (٤/ ٥٧-٥٨)

٢ - المفاتيح في شرح المصابيح (٤/ ٤١٩)

حَاجَتُكَ) التي احتج بها قائل ما تقدم فما فيه عندي ظهور، لما تأوله من أنه اتهمه في إيمانه، ولو اتهمه في إيمانه لم يقل له: (لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ) بل كان يقول: لو قلتها من قلبك وصدق نيتك، وإنما معنى (هَذِهِ حَاجَتُكَ): حاضرة مقضية غير متعذرة."[1]

ووافقه النووي (٦٧٦هـ) فقال: "مَعْنَاهُ لَوْ قُلْتَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْأَسْرِ حِينَ كُنْتَ مَالِكَ أَمْرِكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَسْرُكَ لَوْ أَسْلَمْتَ قَبْلَ الْأَسْرِ فَكُنْتَ فُزْتَ بِالْإِسْلَامِ وَبِالسَّلَامَةِ مِنَ الْأَسْرِ وَمِنَ اغْتِنَامِ مَالِكَ، وَأَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ بَعْدَ الْأَسْرِ فَيَسْقُطُ الْخِيَارُ فِي قَتْلِكَ وَيَبْقَى الْخِيَارُ بَيْنَ الِاسْتِرْقَاقِ وَالْمَنِّ وَالْفِدَاءِ"[2]

ووافقه –أيضا– ابن المَلَك (٨٥٤ هـ) فقال: "قيل: الظاهر أنه مسلم لأن معنى قوله:

(أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ) أفلحت بإسلامك، ولكن لم يحصل لك كل الخلاص به؛ لذِكْرِك إيَّاه بعد الأسر، ولو ذَكَرْتَه قبله تخلصْتَ كلَّ الخَلاَص، وأما رده وأخذه الرجلين بدله، فلا ينافي إسلامه لجواز أن يكون الرد شرطاً بينهم في العهد الجاري بينه – ﷺ – وبينهم."[3]

وكذلك الشوكاني (١٢٥٠هـ) فقال: " أَيْ لَوْ قُلْتَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ أَوْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَخْبَرْتَ بِهَا عَنْ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْك الْأَسْرُ لَكُنْت آمِنًا وَلَمْ يَجْرِ عَلَيْك مَا جَرَى مِنْ الْأَسْرِ وَأَخْذِ الْمَالِ، وَلَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ رَدَّ إسْلَامِهِ بَلْ قَبِلَهُ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ بِإِسْلَامِهِ الْفِكَاكُ مِنْ الْأَسْرِ وَإِرْجَاعُ مَا أُخِذَ مِنْ مَالِهِ فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ كُلُّ

---

١ - إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (٥/ ٣٩١-٣٩٢)

٢ - شرح النووي على مسلم (١١/ ١٠٠)

٣ - شرح مصابيح السنة لابن الملك (٤/ ٤١٣) محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (٨٥٤ هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، مكتبة إدارة الثقافة الإسلامية الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

الْفَلَاحِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعَامَلْ فِي تِلْكَ الْحَالِ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ عُومِلَ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ فَبَقِيَ فِي وَثَاقِهِ وَتَحْتَ مِلْكِ مَنْ أَسَرَهُ"[1]

يُفهم مما سبق أن الخطابي رأى هو ومن تبعه أن النبي ﷺ لم يعتد بقول الرجل: [إني مسلم] وأنكر عليه لأنه قالها تقية، ورأى القاضي عياض ومن تبعه أنه اعتد بذلك لقرينة قوله: [كُلَّ الْفَلَاحِ] ولكنه أنكر عليه لأنه قالها وهو في الأسر، وأميل في هذا إلى رأي القاضي عياض ومن تبعه لقوة أدلته.
والذي يعنينا هنا أن الإنكار ثابت في كلا الحالين لأن المتكلم لم يراع المقام الذي قال فيه هذا الكلام، مما استدعى هذا التوجيه النبوي الحكيم: [لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ].

وافتتاح هذا التوجيه بأداة الشرط [لو] التي تفيد التمني يشعرنا بالرحمة الباطنة والشفقة الخافية في جنبات هذا التوجيه، وقوله: (وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ) جملة حالية و[الواوِ] واو الحال، كأنها تشير بوضوح إلى أن هذا المقام هو الذي استدعى ذلك الإنكار، فأنت أيها المتكلم في مقام لا يغير فيه قولك هذا من واقع الأمر شيئا.

بهذا نعلم كيف جعلت التصويبات النبوية رعاية المقام هدفا أهدافها، من خلال دعوتها إلى ما ينبغي من مطابقة الكلام للمقام حتى يكون أبلغ تعبيرا وأقوى تأثيرا.

---

١ - نيل الأوطار (٧/ ٣٦٠) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

رابعا: رعاية العرف اللغوي

اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لكثير من قوانين الاجتماع وطبائعه . والعرف اللغوي مظهر من تلك المظاهر الدالة على كون اللغة ظاهرة اجتماعية، وهو الاختيار المفضل لدي الجماعة اللغوية، ومن ثم ينبغي أن يتبعه أفراد تلك الجماعة اللغوية الواحدة، والخروج عنه وعدم رعايته إخلال بهذا العقد العرفي بين أفراد هذه الجماعة اللغوية، لهذا توجهت التصويبات النبوية إلى مثل هذا الإخلال تقويما وتعليما وتنبيها للمتكلم على ما ينبغي له من رعاية العرف اللغوي في كلامه.

من أمثلة ذلك ما روي عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ فَقَالَ: " لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ «وَذَكَرَ قِصَّةً طَوِيلَةً وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[1]

وعَنْه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى»[2]

"قوله: عليك السلام تحية الميت، يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له: عليك السلام، كما يفعله كثير من العامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة، فقال: [السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين] فقدم الدعاء على اسم المدعو له كهو[3] **في تحية الأحياء، وإنما قال ذلك القول منه إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو مذكور في أشعارهم كقول الشاعر**[4]**:**

---

١ - سنن الترمذي (٥/ ٧٢)

٢ - سنن أبي داود (٤/ ٣٥٣)

٣ - "كهو" يعني: "كمثله". وقد استعمل الخطابي هذا التركيب في عدة مواضع من كتابه معالم السنن.

٤ - البيت أورده بن قتيبة الدينوري في الشعر والشعراء وكذلك في عيون الأخبار للشاعر المخضرم عبدة بن الطّبيب، وقال في الشعر والشعراء: "ويستجاد له قوله فى قيس بن عاصم يرثيه:عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحمّا" الشعر والشعراء (٢/ ٧١٨) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) دار =

عليك سلام الله قيس بن عاصم[1] ★★★ ورحمته ما شاء أن يترحما

وكقول الشماخ[2]:

عليك سلام من أديم وباركت ★★★ يد الله في ذاك الأديم الممزق[3]

=الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ. وينظر أيضا عيون الأخبار (٤٠٢/١) ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

١ - قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ سِنَانِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مِنْقَرِ بْنِ عُبَيْدٍ من بني تميم. وكان قيس قد حرم الخمر في الجاهلية ثم وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - في وفد بني تميم. فأسلم.[فقال رسول الله ﷺ هذا سيد أهل الوبر. وكان سيدًا جوادًا]. الطبقات الكبرى (٧/ ٢٦) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٢ - الشماخ اسْمه معقل بن ضرار الْغَطَفَانِي. وَهُوَ مخضرم: أدْرك الْجَاهِلِيَّة وَالْإِسْلَام. وَله صُحْبَة. وَجعله الْجُمَحِي فِي الطَّبَقَة الثَّالِثَة من شعراء الْإِسْلَام وقرنه بالنابغة الْجَعْدِي ولبيد وَأَبُو ذُؤَيْب الْهُذلِيّ. وَقَالَ: إِنَّه كَانَ شَدِيد متون الشّعْر وَأَشد كلَاما من لبيد وَفِيه كزازة ولبيد أسهل مِنْهُ منطقاً. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٣/ ١٩٦-١٩٧) عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣ - رواية البيت في ديوان الشماخ:

جَزى اللهُ خيراً مِن أمير وَبارَكَتْ ★★★ يَدُ اللهُ في ذاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ

ديوان الشماخ (٤٤٨)، الشماخ بن ضرار الذبياني (٢٤هـ) تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م. وقال المحقق في حاشية الصفحة السابقة: "اختلف العلماء والرواة في نسبة هذه الأبيات إلى كل واحد من الإخوة الثلاثة: الشماخ، ومزود، وجزء، بني ضرار". ا هـ

وفي حماسة إبي تمام: "قال الشماخ يرثي عمر بن الخطاب –رضي الله عنه-: جَزى اللَّهُ خَيراً مِن أَميرٍ وَبارَكَتْ ... يَدُ اللَّهُ في ذاكَ الأَديمِ المُمَزَّق" الحماسة (٥٤٠/١)، وفي البيان والتبيين: "وقال مزرّد بن ضرار يرثي عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-:

عليك السلام من إمام وباركت ★★★ يد الله في ذاك الأديم الممزّق" البيان والتبيين (٣/ ٢٣٦) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت. وفي الشعر والشعراء: "وأخوهما جزء بن ضرار، وهو القائل في عمر بن الخطّاب -رضى الله عنه-: =

فالسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات"[1]

"وَيُوَضِّحُهُ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِنَا أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّهُ يُحَيَّا الْمَيِّتُ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ، إِذْ قَدْ سَلَّمَ - ﷺ - عَلَى الْأَمْوَاتِ بِقَوْلِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ أَنَّ هَذِهِ تَحِيَّةٌ تَصْلُحُ أَنْ يُحَيَّا بِهَا الْمَيِّتُ لَا الْحَيُّ، وَذَلِكَ لِمَعْنَيَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا أَنَّ تِلْكَ الْكَلِمَةَ شُرِعَتْ لِجَوَابِ التَّحِيَّةِ، وَمِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ أَنْ يُحَيِّيَ صَاحِبَهُ بِمَا شُرِعَ لَهُ مِنَ التَّحِيَّةِ فَيُجِيبَ صَاحِبُهُ بِمَا شُرِعَ لَهُ مِنَ الْجَوَابِ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْجَوَابَ مَكَانَ التَّحِيَّةِ، وَأَمَّا فِي حَقِّ الْمَيِّتِ فَإِنَّ الْغَرَضَ مِنَ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ أَنْ تَشْمَلَهُ بَرَكَةُ السَّلَامِ، وَالْجَوَابُ غَيْرُ مُنْتَظَرٍ هُنَالِكَ، فَلَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ بِكِلْتَا الصِّيغَتَيْنِ، وَالْآخَرُ أَنَّ إِحْدَى فَوَائِدِ السَّلَامِ أَنْ يُسْمِعَ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلَّمَ عَلَيْهِ ابْتِدَاءً لَفْظَ السَّلَامِ لِيَحْصُلَ الْأَمْنُ مِنْ قِبَلِ قَلْبِهِ، فَإِذَا بَدَأَ بِعَلَيْكَ لَمْ يَأْمَنْ حَتَّى يُلْحِقَ بِهِ السَّلَامَ بَلْ يَسْتَوْحِشُ وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِ، فَأُمِرَ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى إِينَاسِ الْأَخِ الْمُسْلِمِ بِتَقْدِيمِ السَّلَامِ، وَهَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ مَطْلُوبٍ فِي الْمَيِّتِ فَسَاغَ لِلْمُسَلِّمِ أَنْ يَفْتَتِحَ بِالْكَلِمَتَيْنِ بِأَيَّتِهِمَا شَاءَ، وَقِيلَ: إِنَّ عُرْفَ الْعَرَبِ إِذَا سَلَّمُوا عَلَى قَبْرٍ أَنْ قَالُوا: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: " «عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ» " عَلَى وَفْقِ عُرْفِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ ؛ لَا لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ عَلَى الْأَمْوَاتِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ اهـ. فَعَلَى الْأَخِيرِ يُحْمَلُ عَلَى عُرْفٍ خَاصٍّ أَوْ عَلَى جَهْلِ الرَّجُلِ بِالْعُرْفِ، وَالْجَاهِلُ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ، فَمَا أَحْسَنَ مَوْقِعَ كَلَامِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-."[2]

= **عليك سلام من أمير وباركت ★★★ يد الله في ذاك الأديم الممزّق**" الشعر والشعراء (١/ ٣٠٧)

١ - معالم السنن (٤/ ١٩٤-١٩٥)

٢ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٤٤-١٣٤٥)

بهذا نكون قد طوَّفنا حول أبرز الأهداف التي عملت على رعايتها التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية، وظهر لنا من خلال ذلك مدى حرصه ﷺ على توجيه المتكلم للاهتمام برعاية تلك المعايير والحفاظ على تلك الأهداف، وفي ذلك بيان لمدى ما تمتعت به تلك التصويبات من طاقات نقدية تجعلها في الصدارة من مقدمة كتاب نقدنا العربي الأصيل، وفي هذا دليل يضاف إلى الأدلة المتكاثرة على أصالة هذا النقد وعمق تجذُّره في تراثنا العربي التليد.

الفصل الثالث
تصويبات نبوية قد توهم تعارضا مع أحاديث أخرى

بعض التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية قد يتوهم بعض الناس تعارضها مع بعض أقواله ﷺ في أحاديث أخرى، وعند إنعام النظر وإمعانه يظهر عدم التعارض، ويزول ما قد يقع من توهم تجلبه النظرة العجلى.

وفي ما يلي عرض لتلك التصويبات مع تلك الأحاديث التي قد توهم التعارض معها، مع بيان الأسباب التي قد تُوهم التعارض بينها، وذكر أبرز الآراء والأقوال في درء ودفع هذا التوهم.

من الأمثلة على ذلك ما روته أم المؤمنين عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي»[1] قد يوهم هذا الحديث تعارضا في ظاهر الأمر مع ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ»[2]

---

١ - صحيح البخاري (٨/ ٤١)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٥)، سنن أبي داود(٤/ ٢٩٥)، مسند أحمد (٤١١/٤٣).

٢ - صحيح البخاري (٢/ ٥٢)، صحيح مسلم (١/ ٥٣٨)، سنن أبي داود (٢/ ٣٢)، سنن النسائي (٢٠٣/٣)، سنن ابن ماجة (١/ ٤٢١)، مسند أحمد (١٢/ ٢٥٨-٢٥٩).

السبب الذي قد يوهم التعارض هنا نهي النبي ﷺ عن وصف الإنسان المسلم لنفسه بالخبث في الحديث الأول وإثباته هذا الوصف للنفس في الحديث الثاني.

ولإزالة هذا الوهم الذي قد ينشأ عند البعض قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ) : "وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ قَوْلَهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ مُعَارِضَةٌ لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَغَيْرِهَا (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي وَلْيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي) وَلَيْسَ فِي هَذَا شَيْءٌ مِنَ الْمُعَارَضَةِ وَإِنَّمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ كَرَاهِيَةٌ لِإِضَافَةِ الْمَرْءِ إِلَى نَفْسِهِ لَفْظَةَ الْخُبْثِ، كَمَا رُوِيَ عَنْهُ إِذْ سُئِلَ عَنِ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ: (لَا أُحِبُّ الْعُقُوقَ) وَكَأَنَّهُ كَرِهَ الِاسْمَ وَقَالَ لِيَنْسُكْ أَحَدُكُمْ عَنِ ابْنِهِ.
وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ حَالِ نَفْسِ مَنْ لَمْ يَقُمْ إِلَى صَلَاتِهِ وَضَيَّعَهَا حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ."[1]
وقال الباجي (٤٧٤هـ) : "وَلَيْسَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ اخْتِلَافٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى الْمُسْلِمَ أَنْ يَقُولَ خَبُثَتْ نَفْسِي لَمَّا كَانَ خُبْثُ النَّفْسِ بِمَعْنَى فَسَادِ الدِّينِ وَالنَّبِيُّ – ﷺ – وَصَفَ بَعْضَ الْأَفْعَالِ بِذَلِكَ تَحْذِيرًا عَنْهَا."[2]
وقال النووي (٦٧٦هـ) : "وَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُخَالَفَةٌ لِقَوْلِهِ ﷺ [لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي] فَإِنَّ ذَلِكَ نَهْيٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ هَذَا اللَّفْظَ عَنْ نَفْسِهِ، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ صِفَةِ غَيْرِهِ "[3]

---

١ - الاستذكار (٢/ ٣٧٥-٣٧٦)
٢ - المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣١٥)
٣ - شرح النووي على مسلم (٦/ ٦٧)

وقال أيضا: "فَإِنَّ قِيلَ فَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الَّذِي يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ: (فَأَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ) قَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ : جَوَابُهُ أَنَّ النَّبِيَّ- ﷺ- مُخْبِرٌ هُنَاكَ عَنْ صِفَةِ غَيْرِهِ وَعَنْ شَخْصٍ مُبْهَمٍ مَذْمُومِ الْحَالِ لَا يَمْتَنِعُ إطلاق هذا اللفظ عليه، والله أعلم."[1]

وقال ابن حجر (٨٥٢هـ) : "تَقْرِيرُ الْإِشْكَالِ أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنِ إِضَافَةِ ذَلِكَ إِلَى النَّفْسِ، فَكُلُّ مَا نُهِيَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُضِيفَهُ إِلَى نَفْسِهِ نُهِيَ أَنْ يُضِيفَهُ إِلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَقَدْ وَصَفَ ﷺ هَذَا الْمَرْءَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَيَلْزَمُ جَوَازُ وَصْفِنَا لَهُ بِذَلِكَ لِمَحَلِّ التَّأَسِّي، وَيَحْصُلُ الِانْفِصَالُ فِيمَا يَظْهَرُ بِأَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَامِلٌ عَلَى الْوَصْفِ بِذَلِكَ كَالتَّنْفِيرِ وَالتَّحْذِيرِ ."[2]

من التصويبات التي قد توهم تعارضا مع بعض أقواله ﷺ في أحاديث أخرى – أيضا– ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[3]

إذ قد يوهم تعارضا في ظاهر الأمر مع بعض الأحاديث التي ورد فيها ذكر [لو]، مثل ما روته أم المؤمنين أم المؤمنين عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ، وَلَحَلَلْتُ مَعَ النَّاسِ حِينَ حَلُّوا»[4] ومثل ما رواه أَبَو هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: أَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي

---

١ - شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨)
٢ - فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٧)
٣ - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢) سنن ابن ماجة (١/ ٣١).
٤ - صحيح البخاري (٩/ ٨٣)، سنن أبي داود (٢/ ١٥٤)

وَيَسْقِينِ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوُا الهِلَالَ فَقَالَ: لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ، كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ."[1]

السبب الذي قد يوهم التعارض هنا النهي عن قول [لو] في الحديث الأول، وثبوت قول [لو] في الأحاديث الأخرى.

"قال الطبرى (٣١٠هـ)[2]: فإن قال قائل: فقد روى ابن عيينة عن ابن عجلان عن الأعرج عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو مفتاح الشيطان) . فنهى عن [لو] في هذا الحديث، وهذا معارض لما جاء من إباحة [لو] فى كتاب الله، وفى الأحاديث المروية فى ذلك. قيل له: لا تعارض بين شيء من ذلك، ولكل وجه ومعنى

---

١ - صحيح البخاري (٩/ ٨٥)، مسند أحمد (١٦/ ٤٠٨)، سنن الدارمي (٢/ ١٠٦٤).

٢ - توفي ابن بطال صاحب هذا النقل عن الطبري عام (٤٤٩هـ)، ولم يحمل لقب الطبري من العلماء قبل هذا التاريخ سوى أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ)، فيتعين أن يكون هو المراد، وعند البحث في الكتب التي يظن ورود هذا الكلام فيها لم أجده في أي منها، وهذه الكتب هي: (١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،تقدم ذكر بياناته.

(٢) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة. (٣) تهذيب الآثار (الجزء المفقود) تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. (٤) صريح السنة، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ. (٥) اختلاف الفقهاء، ط دار الكتب العلمية، بدون تاريخ. (٦) التبصير في معالم الدين، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (٧) تاريخ الرسل والملوك = تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ (٨) المنتخب من ذيل المذيل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. وعلمت بعد ذلك من بعض أهل العلم أن ابن جرير الطبري لم يكمل كتاب تهذيب الآثار وهو كتاب في علم الحديث، وأن الموجود الآن جزء يسير منه.

غير معنى صاحبه؛ فأما نهيه عن [اللو] فى حديث ابن عجلان فمعناه: لا تقل أنى لو فعلت كذا لكان كذا على القضاء والحتم، فإنه كائن لا محالة، فأنت غير مضمر فى نفسك شرط مشيئة الله، هذا الذي نهى عنه؛ لأنه قد سبق في علم الله كل ما يناله المرء. قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا) [الحديد: ٢٢] . فأما إذا كان قائله ممن يوقن بأن الشرط إذا وجد لم يكن المشروط إلا بمشيئة الله وإرادته، فذلك هو الصحيح من القول، وقد قال أبو بكر الصديق للنبي ﷺ وهو في الغار: لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، ولم ينكر ذلك عليه ﷺ؛ إذ كان عالما بمخرج كلامه، وأنه إنما قال ذلك على ما جرت به العادة، واستعمله الناس على الأغلب كونه عند وقوع السبب الذي ذكره، وإن كان قد كان جائزًا أن يرفع جميع المشركين الذين كانوا فوق الغار أقدامهم ثم ينظروا فيحجب الله أبصارهم عن رسوله وعن صاحبه فلا يراهما منهم أحد، وكان جائز أن يحدث الله عمىً في أبصارهم، فلا يبصرونهما، مع أسباب غير ذلك كثيرة، وأن أبا بكر لم يقل ذلك إلا على إيمان منه بأنهم لو رفعوا أقدامهم لم يبصروا رسول الله إلا أن يشاء الله ذلك، فهذا مفسرًا لحديث ابن عجلان وناف للتعارض فى ذلك، والله الموفق."[1]

وقال أبو العباس القرطبي (٦٥٦هـ): "ولا يفهم من هذا أنه لا يجوز النطق بـ [لو] مطلقا، إذ قد نطق بها النبي -ﷺ- فقال: "لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، ولجعلتها عمرة"[2] و " لو كنت راجما أحدا بغير بينة لرجمت هذه"[3] وقال أبو بكر -رضي الله عنه-: "لو أن أحدهم نظر إلى رجليه لرآنا" ومثله كثير؛ لأن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت في

١ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٢٩٤-٢٩٥)
٢ - صحيح البخاري (٩/ ٨٣)، صحيح مسلم (٢/ ٨٨٨)
٣ - صحيح البخاري (٨/ ١٧٥)، صحيح مسلم (٢/ ١١٣٥)

معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور، فأما لو أخبر بالمانع على جهة أن تتعلق به فائدة في المستقبل فلا يختلف في جواز إطلاقه، إذ ليس في ذلك فتح لعمل الشيطان، ولا شيء يفضي إلى ممنوع ولا حرام، والله -تعالى- أعلم."[1]

وقال النووي (٦٧٦هـ): "فَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَيَكُونُ نَهْيُ تَنْزِيهٍ لَا تَحْرِيمٍ فَأَمَّا من قاله تأسفا على مافات من طاعة الله-تعالى- أو ما هو مُتَعَذَّرٌ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِ هَذَا فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الِاسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ"[2]

عند تأمل سياق الحديث ندرك تمام الإدراك أن [لو] المنهي عنها أنما هي التي تأتي بعد وقوع المصيبة -أعاذني الله وإياك-، فقوله: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ» أسلوب شرط و[أصاب] فعل الشرط، والجواب [فلا تقل لو]، لذا فالنهي عن قول [لو] في جواب الشرط متوقف على حدوث فعل الشرط، فإن لم يحدث فعل الشرط فليس ثمة نهي عن قول [لو]، والأمثلة التي أوهمت تعارضا من الكتاب والسنة لم تأت [لو] في أي مثال منها بعد وقوع مصيبة، فيزول بهذا ما قد يُوهم التعارض، والله -تعالى- أعلى وأعلم.

من التصويبات التي قد توهم تعارضا مع بعض أقواله ﷺ في أحاديث أخرى ما -أيضا- ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي "[3]

---

١ - المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم (٦٨٣/٦)
٢ - شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٦)
٣ - صحيح البخاري (٣/ ١٥٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٥)

فذلك قد يوهم تعارضا مع قول الرسول ﷺ عن أشراط الساعة في رواية البخاري: "إِذَا وَلَدَتِ المَرْأَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا"[1]

وفي رواية مسلم: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا»[2]

السبب الذي قد يوهم التعارض هنا نهيه ﷺ في الحديث الأول أن يُقال للسيد أو المولى رب، وثبوت ذلك في الحديث الثاني.

قال القاضي عياض (٥٤٤هـ) في الجمع بين الحديثين: "النهى عن ذلك أن يتخذ عادة، ولا يذكر اسم سواه حتى يفشوا ويستعمل استعمال مثله فى الخالق -تعالى- وربما أدخل اللبس باستعمال مثله على الضعفاء بعض الزنادقة، وأصحاب الإلحاد والحلول من النصارى وأصحاب التناسخ، وغلاة الرافضة، وغلاة الباطنية؛ من تسميتهم بعض الناس أرباباً وادعائهم ذلك حقيقة فيهم، قال الله تعالى: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ) [التوبة : ٣١] تعالى الله عن قولهم. ولم ينه نهى وجوب وحتم، بل نهى أدب وحظر، ثم خاطبهم أحياناً بما فهم عنه من صحة استعمالهم له فى لغتهم وعلى غير الوجه المذموم، ولأن ذكر النبي لما ذكر فيهم أمن فيه ما يقع من المعين إذا سمع نداءه بذلك عنده، وما يقع في نفسه من التعظيم والكبر."[3]

وقال النووي (٦٧٦هـ): "فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْرَاطِ الساعَة: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّهَا، فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْحَدِيثَ الثَّانِي لِبَيَانِ الْجَوَازِ، وَأَنَّ النَّهْيَ فِي الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم.

---

١ - صحيح البخاري (٦/ ١١٥)

٢ - صحيح مسلم (١/ ٣٧)

٣ - إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (٧/ ١٨٨- ١٨٩)

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ النَّهْيُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَاتِّخَاذِهَا عَادَةً شَائِعَةً وَلَمْ يَنْهَ عَنْ إِطْلَاقِهَا فِي نَادِرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَاخْتَارَ الْقَاضِي هَذَا الْجَوَابَ"[1]

من التصويبات التي قد توهم تعارضا مع بعض أقواله ﷺ في أحاديث أخرى ما رواه عَبْدُ اللهِ بن مسعود أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ»[2]

وفي رواية أخرى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ"[3]

قد يوهم هذا التصويب تعارضا في ظاهر الأمر مع ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود أن النَّبِيُّ ﷺ – قَالَ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ»[4]

السبب الذي قد يوهم التعارض هنا ذم النبي ﷺ لأن ينسب الإنسان المسلم نسيان آيات من القرآن الكريم إلى نفسه في الحديث الأول، بينما نسب ﷺ ذلك إلى نفسه في الحديث الثاني.

تعددت آراء العلماء في درء هذا التعارض الذي قد يُتوهم، فقال ابن بطال (٤٤٩هـ):

"لكل إضافة منها معنى صحيحًا في كلام العرب، فمن أضاف النسيان إلى الله فلأنه خالقه وخالق الأفعال كلها، ومن نسبه إلى نفسه فلأن النسيان فعل منه مضاف إليه من جهة الاكتساب والتصرف، ومن نسبه إلى الشيطان فهو

---

١ - شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦)
٢ - صحيح مسلم (١/ ٥٤٤)، مسند أحمد (٦/ ١١٨)
٣ - صحيح البخاري (٦/ ١٩٤)، صحيح مسلم (١/ ٥٤٤)
٤ - صحيح البخاري (١/ ٨٩)، صحيح مسلم (١/ ٤٠٠)

بمعنى الوسوسة في الصدور وحديث الأنفس بما جعل الله للشيطان من السلطان على هذه الوسوسة، فلكل إضافة منها وجه صحيح، وإنما أراد ﷺ بقوله -والله أعلم-: (ما لأحدهم يقول نسيت آية كذا وكذا؛ بل هو نسى) أن يجرى على ألسن العباد نسبة الأفعال إلى بارئها وخالقها، وهو الله؛ ففي ذلك إقرار له بالعبودية واستسلام لقدرته، وهو أولى من نسبة الأفعال إلى مكتسبها فإن نسبها إلى مكتسبها فجائز بدليل الكتاب والسنة."[1]

وقال الباجي (٤٧٤هـ): "يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ يُنْسَخُ مِنْ الْقُرْآنِ بِالنِّسْيَانِ يَنْسَاهُ جَمِيعُ النَّاسِ فَلَا يَبْقَى فِي حِفْظِ أَحَدٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ نَسْخَهُ لَهُ وَيَكُونُ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْآخَرِ النِّسْيَانُ الْمُعْتَادُ مِنْ السَّهْوِ الْمُعْتَادِ فِي الصَّلَاةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ."[2]

وقال القاضي عياض (٥٤٤هـ): "قيل: إنما أمر بذلك النبي ﷺ لتضاف الأمور إلى خالِقها ومقدِّرها إقراراً بالعبودية، ولا يضَيفُها العبد أبداً إلى نفسه. والنبي - عليه السلام- وأمثاله، ممن ذكر الله عنه ذلك في كتابه، ممن إذا أطلق اللفظ فهو على بينة من ربه ويقين من تسليمه، وقيل: لأن المَنْسيَّ المنهيَّ عن قوله وإضافةِ الإنسان له إلى نفسه، يحتمل أنه ما نسخه الله من القرآن بالنسيان لجميع الناس، فلا يبقى في حفظ أحد، والآخر الذي أضافه النبي ﷺ إلى نفسه هو النسيان المعهود.

---

١ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٢٧٠-٢٧١)
٢ - المنتقى شرح الموطأ (١/ ١٨٢)

وقد يقال: إنه كره قول هذا اللفظ لاشتراكه،[1] ولما في هذا من الإعراض والغفلة والتهاون. قال الله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) [طه : ١٢٤] ثم قال: (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا) [طه : ١٢٦]

وقد يظهر في معنى قوله: " بئس ما لأحدكم أن يقول: إني نسيتُ آية كذا، ولكنه نُسِّى " ذم الحال وكراهته، لا ذم القول، أي بئست الحالة والصفة لمن أوتى القرآن فغفل عنه حتى نسيه فقال: نسيتُه، وهو لم ينسه من قبل نفسه، إذ ليس النسيانُ من فعله، لكنه من فعل الله الذي نسَّاه إياه عقوبةً لإعراضه عنه وتوسيده إياه، واستخفافه بحقه، كما قال في الحديث الآخر: " لم أر ذنباً أعظَمَ من آيةٍ أو سورة حفظها رجل ثم نسيها "[2]، وهذا عندي أولى ما يتأول في الحديث إن شاء الله."[3]

وقال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ): "وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَنْزِلَ الْمَنْعُ وَالْإِبَاحَةُ عَلَى حَالَتَيْنِ فَمَنْ نَشَأَ نِسْيَانُهُ عَنِ اشْتِغَالِهِ بِأَمْرٍ دِينِيٍّ كَالْجِهَادِ لَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ قَوْلُ ذَلِكَ، لِأَنَّ النِّسْيَانَ لَمْ يَنْشَأْ عَنْ إِهْمَالٍ دِينِيٍّ، وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ نِسْبَةِ النِّسْيَانِ إِلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ نَشَأَ نِسْيَانُهُ عَنِ اشْتِغَالِهِ بِأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مَحْظُورًا امْتَنَعَ عَلَيْهِ لِتَعَاطِيهِ أَسْبَابَ النِّسْيَانِ." [4]

ومن التصويبات التي قد توهم تعارضا مع بعض أقواله ﷺ في أحاديث أخرى ما روي عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ فَقَالَ: " لَا

---

١ - لِأَن "نسى" مُشْتَرك بَين "سَهَا" وَبَين "ترك". المتواري علي تراجم أبواب البخاري (ص: ٣٩٤) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار الجذامي الجروي الإسكندراني، المعروف بـ (ابن المنير) (٦٨٣هـ) تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت. بدون تاريخ.

٢ - سنن أبي داود (١/ ١٢٦)، سنن الترمذي (٥/ ١٧٩)

٣ - إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (٣/ ١٥٤- ١٥٥)

٤ - فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨٥)

تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ «وَذَكَرَ قِصَّةً طَوِيلَةً وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[1]

وعَنْه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى»[2]

قد يوهم هذا التصويب تعارضا في ظاهر الأمر مع ما روته أم المؤمنين عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ عَائِشَةَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ"[3]

السبب الذي قد يوهم التعارض هنا أن الحديث الأول يذكر أن تحية الميت (عليك السلام) بينما كانت تحيته ﷺ لأهل البقيع في الحديث الثاني (السلام عليكم).

ولبيان درء هذا التعارض الذي قد يُتوهم أكتفي بإعادة قول الخطابي (٣٨٨هـ) الذي سبق ذكره عند الحديث عن رعاية التصويبات النبوية للعرف اللغوي: "قوله: عليك السلام تحية الميت، يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له: عليك السلام، كما يفعله كثير من العامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة، فقال: [السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين] فقدم الدعاء على اسم المدعو له كهو في تحية الأحياء، وإنما قال ذلك القول منه إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو مذكور في أشعارهم كقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ⋆⋆⋆ ورحمته ما شاء أن يترحما

وكقول الشماخ:

عليك سلام من أديم وباركت ⋆⋆⋆ يد الله في ذاك الأديم الممزق

---

١ - سنن الترمذي (٥/ ٧٢)
٢ - سنن أبي داود (٤/ ٣٥٣)
٣ - مسند أحمد (٤٢/ ٢٩٨)

فالسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات بدليل حديث أبي هريرة الذي ذكرناه والله أعلم."[1]

يُفهم من هذا أن [السلام عليك] تحية مشتركة بين الأحياء والأموات، لذا توجه بها ﷺ إلى الأموات، وأما [عليك السلام] فهي تحية خاصة بالأموات في العرف اللغوي عند العرب، والشعر المستشهد به دليل على ذلك، لذا جاء النهي النبوي عن قولها للأحياء، وبهذا يزول توهم التعارض بين الحديثين.

يُفهم من كل ما سبق أن ما قد يُتوهم من تعارض بعض التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية مع أحاديث نبوية أخرى إنما مرده إلى عدم إمعان النظر وإعمال الفكرة، وعند إنعام النظر وإمعانه يظهر عدم التعارض، ورأينا كيف قام علماؤنا بدرء هذه التعارضات التي قد تُتَوهم بين أحاديث التصويبات النبوية والأحاديث الأخرى، وبيان أوجه الجمع بين الحديثين اللذين قد يُتَوهم بينهما التعارض.

ولعل هذا البحث من خلال تضافر فصوله وتآزر مباحثه يكون قد أطل إطلالة عامة على بعض الملامح النقدية في التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية من خلال الكشف عن أبرز اتجاهات التصويبات النبوية وبيان أهم أهدافها النقدية، مع عرض التصويبات التي قد توهم تعارضا مع أحاديث أخرى، وبيان كيفية دفع هذا التوهم ودرء هذا التعارض.

---

١ - معالم السنن (٤/ ١٩٤-١٩٥) وسبق الكلام عن البيتين عند الكلام على رعاية العرف اللغوي.

خاتمـــــة

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، وصل اللهم على سيدنا محمد إذن الخير التي استقبلت آخر إرسال السماء إلي الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق مراده من الخلق، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرّ الميامين، وعلى جميع عباد الله الصالحين.

وبعـــد

حفلت التصويبات النبوية لبعض لأخطاء القولية بكثير من الملامح النقدية، مما يؤكد على أصالة هويتنا النقدية، ويفتح أبوابا جديدة للبحث في تراثنا النقدي خارج الأطر التقليدية المعروفة، وما أكثر تلك الأبواب! ومن أبرزها الأحاديث النبوية وشروحها.

ومن تلك الملامح النقدية التي حفلت بها التصويبات النبوية تنوع الاتجاهات التي توجَّهت إليها حتى تكاد تشمل كل معالم العبارة من كلمة وأسلوب وصورة. وقد وقف البحث مع كل اتجاه من تلك الاتجاهات التي وجهت إليها التصويبات النبوية نقداتها تصويبا وتهذيبا، تقييما وتقويما.

رأينا من خلال نقد النبي ﷺ للكلمة حرصه على سلامة وصلاحية كلمات أصحابه -رضي الله عنهم-، فنجده يصوب منها ما يراه محتاجا إلى تصويب، ويقوم ما يراه محتاجا إلى تقويم.

وظهر لنا من خلال الأحاديث المستشهد بها في ذلك مدى حرصه ﷺ على تعليم أصحابه -رضي الله عنهم- الأدب الرفيع واجتناب ما يخلُّ بكمال هذا الأدب ولو كان كلمة واحدة.

كما تبين لنا أن العلاقة بين معاني الكلمات مهما كانت قريبة والمناسبة موجودة، ولكن يبقى لكل كلمة أطيافها الخاصة وإيحاءاتها المتميزة وإشاراتها المستقلة.

وقد أكد كل ذلك على مدى عناية التصويبات النبوية بنقد الكلمة، وحرصها على الوقوف عندها تقييما وتقويما.
ورأينا من خلال نقد النبي ﷺ للأسلوب أنه كان حريصا على بلوغ أساليب صحبه الكرام غايتها فتوجه بالنقد إلى بعض ما رآه فيها من قصور سادّاَ خللها راجيا اكتمالها، من أجل إيصال ما يريدون بيانه دون انحراف عن القصد أو زيادة فيه أو نقصان عنه.
وتبين لنا من خلال هذا المبحث أن التصويبات النبوية التي توجهت إلى نقد الأسلوب لم تقف عند الأخطاء التي وردت على ألسنة بعض الصحابة، بل تجاوزت ذلك إلى الأخطاء التي قد ترد في أساليب بعض أصحابه -رضي الله عنهم- مما يشير إلى مدى ما تمتع به ﷺ من حسّ نقدي بارع ينبغي أن يقف الدرس النقدي عنده فهما وتعلما.

وعلمنا من خلال توجه التصويبات النبوية إلى الصورة مدى اهتمامه ﷺ بالصورة وقيمتها في كلام أصحابه، فوجه تصويباته إلى ما يحتاج منها إلى تصويب، مرشدا إلى ما ينبغي أن تكون عليه الصورة في كلام المتكلمين، فهو يريدها واقعية غير متخيلة، يقينية غير مظنونة، وألا تكون قاصرة عن الغاية، أوبعيدة عن الهدف، وبهذا ندرك مدى حرصه ﷺ على خروج الصورة في أبهى حللها، انسجاما مع تمليه معطيات الواقع، وتآلفا مع آثاره المتجددة.

ومن تلك الملامح النقدية التي حفلت بها التصويبات النبوية تعدد وتنوع الأهداف النقدية التي عملت على رعايتها، فكان من بينها رعاية حال المتكلم، ورعاية حال المخاطب، ورعاية المقام الذي قيل فيه الكلام، ورعاية العرف اللغوي الذي ارتضته واختارته الجماعة اللغوية، ولا غرو أن رعاية هذه الأمور من أبرز المقاييس التي تقاس بها بلاغة الكلام وجودته.

ورأينا كيف اتخذت التصويبات النبوية من رعاية حال المتكلم هدفا أولته حسن رعايتها وجميل عنايتها، إذ أن لإنسان لا يعلم دائما ما هو الأنسب والأصلح لحاله من أقواله، لذا راعت التصويبات النبوية -نهيا وأمرا- حال المتكلم من خلال هذه التوجيهات الحكيمة إلى ما ينبغي عليه من ابتعاد عن الخطأ، وما

ينبغي له من اتباع للصواب، فدلته على الأنسب والأصلح لحاله ظاهرا وباطنا، حالا ومآلا، وبهذا ازددنا يقينا بالمدى الذي بلغته التصويبات النبوية في رعايتها لحال المتكلم.

وعلمنا كيف كانت رعاية حال المخاطب هدفا من أهداف التصويبات النبوية، وظهر لنا مدى عناية النبي ﷺ بأقوال أصحابه ومدى حرصه على بلوغها الغاية، وهذا منه ليس بعجيب وعليه ليس بغريب، فبين لهم أن خطاب الخلق لا يليق أن يكون خطابا للحق، كما بين لهم ما ينبغي من التلطف في خطاب المسيء حتى لا يتمادى في إساءته، وغير ذلك من كل ما ينبغي على المتكلم أن يراعيه من حال المخاطب.

وتبين لنا كيف جعلت التصويبات النبوية رعاية المقام هدفا من أهدافها، من خلال دعوتها إلى ما ينبغي من مطابقة الكلام للمقام حتى يكون أبلغ تعبيرا وأقوى تأثيرا، ودل ذلك على حرصه ﷺ على أن يراعي المتكلم المقام فيكون أسلوبه مناسبا لهذا المقام بسطا وإيجازا، إظهارا وإضمارا.

وعلمنا أنه لم يفت التصويبات النبوية أن تتخذ من العرف اللغوي هدفا من أهدافها، وكأنها تدعو بذلك إلى إقرار ما اختارته الجماعة اللغوية، فنبهت المتكلم إلى ما ينبغي له من رعاية العرف اللغوي في كلامه.

وظهر لنا من خلال كل ذلك مدى حرصه ﷺ على توجيه المتكلم للاهتمام برعاية تلك المعايير والحفاظ على تلك الأهداف، وفي ذلك بيان لمدى ما تمتعت به تلك التصويبات من طاقات نقدية تجعلها في الصدارة من مقدمة كتاب نقدنا العربي الأصيل، وفي هذا دليل يضاف إلى الأدلة المتكاثرة على أصالة هذا النقد وعمق تجذُّره في تراثنا العربي التليد.

وتبين لنا أن ما قد يُتوهم من تعارض بعض التصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية مع أحاديث نبوية أخرى إنما مرده إلى عدم إمعان النظر وإعمال الفكرة، وعند إنعام النظر وإمعانه يظهر عدم التعارض، ورأينا كيف قام علماؤنا بدرء

هذه التعارضات التي قد تُتَوهم بين أحاديث التصويبات النبوية والأحاديث الأخرى، وبيان أوجه الجمع بين الحديثين اللذين قد يُتَوهم بينهما التعارض.

أرجو بهذا أن أكون قد وفقت في الكشف عن بعض الملامح النقدية في التصويبات النبوية، وأمطت اللثام عن بعض ما فيها من طاقات نقدية، وإلا فعذري أنني حاولت.
أسأل الله حسن القبول وسلامة الوصول إلى غاية المأمول.

أبرز مراجع ومصادر البحث

١- اختلاف الفقهاء، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ)، ط دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري = شرح القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٣- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي (٣٨٨هـ) تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤- إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (٥٤٤هـ) تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ) تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦- الإفصاح عن معاني الصحاح، أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ (٥٦٠هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن - الرياض ، ١٤١٧هـ.

٧- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٨- التبصير في معالم الدين، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧ هـ.

١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١١- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دارالكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٢- الحماسة لأبي تمام، أَبو تَمّام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١ هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، جامعة محمد بن سعود (١٤٠١هـ -١٩٨١م)
١٣- السنن الكبرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٤- الشعر والشعراء،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
١٥- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١٦- العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (١٣٥٣هـ) تصحيح: الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي –بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
١٧- المتواري على تراجم أبواب البخاري، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار الجذامي الجروي الإسكندراني، المعروف بـ (ابن المنير) (٦٨٣هـ) تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت. بدون تاريخ.
١٨- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المعروف بـ (سنن النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم،

أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. بدون تاريخ.

٢٠- المصنف في الأحاديث والآثار = مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (٢٣٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢١- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هندواي، د ار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ.

٢٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، بدون تاريخ.

٢٣- المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (٥٣٦هـ) تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.

٢٤- المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (٧٢٧ هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٢٥- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٦٥٦هـ) تحقيق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى ١٩٩٦م – ١٤١٧هـ.

٢٦- المنتخب من ذيل المذيل، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. بدون تاريخ.

٢٧- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (٤٧٤هـ) مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى،١٣٣٢هـ. (صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة الثانية، بدون تاريخ)

٢٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٩- الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف التُّورِبِشْتِي (٦٦١ هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ هـ.

٣٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣١- تاريخ الرسل والملوك = تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ) دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.

٣٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية – بيروت. بدون تاريخ.

٣٣- تهذيب الآثار (الجزء المفقود) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٣٤- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة.

٣٥- جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٦- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للسعد التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠هـ) مكتبة رشيدية – كراتشي، بدون تاريخ.

٣٧- حاشية السندي على صحيح مسلم، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (١١٣٨هـ) تحقيق:على بن أحمد الكندي المرر، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، دولة الإمارات، الطبعة الأولى،١٤٣٢هـ –٢٠١١م.

٣٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)

تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٩- ديوان الشماخ، الشماخ بن ضرار الذبياني (٢٤هـ) تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٤٠- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (١٣٠- ٨ ق. هـ/٤٩٦- ٥٤٤م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م.

٤١- ديوان عمرو بن قميئة، عمرو بن قميئة (١٧٩-٨٥ ق. هـ/٤٤٨-٥٤٠م) تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

٤٢- ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار لإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٤٤- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

٤٥- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. بدون تاريخ.

٤٦- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٤٧- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٨- شرح السنة للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي

الشافعي (٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٩- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تخقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة لأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٥٠- شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (٤٢١هـ) تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٥١- شرح صحيح البخارى لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن بن بطال البكري القرطبي البَلَنْسي (٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٥٢- شرح مصابيح السنة لابن الملك، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (٨٥٤ هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، مكتبة إدارةالثقافة الإسلامية الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.

٥٣- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم،الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٥٤- صريح السنة، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي،الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٥- طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (٨٢٦هـ) الطبعة المصرية القديمة (صورتها دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ)

٥٦- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) طبعة دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٥٧- غريب الحديث للخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨ هـ) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

٥٨- غريب الحديث للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ) تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري = فتح الباري لابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (٧٩٥هـ) تحقيق: ١- محمود بن شعبان بن عبد المقصود.٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي.٣- إبراهيم بن إسماعيل القاضي. ٤- السيد عزت المرسي. ٥- محمد بن عوض المنقوش. ٦- صلاح بن سالم المصراتي. ٧- علاء بن مصطفى بن همام. ٨- صبري بن عبد الخالق الشافعي. مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

٦٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .

٦١- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق:علي حسين البواب، دار الوطن – الرياضن بدون تاريخ.

٦٢- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس – الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٦٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٤- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني

(٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٦٥- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦٦- مصابيح الجامع، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني(٨٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٦٧- مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ضمن مجموعة شروح لسنن ابن ماجة، الناشر: قديمي كتب خانة – كراتشي(بدون تاريخ).

٦٨- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ) المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

٦٩- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥ م.

٧٠- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (٥٨١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٧١- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

فهرس الموضــوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمـــة	١١٢١
الفـصل الأول: أبـرز اتجاهـات التـصويبات النبويـة لبعض الأخطاء القولية	١١٢٤
أولا: نقد الكلمة	١١٢٤
ثانيا: نقد الأسلوب	١١٣٤
ثالثا: نقد الصورة	١١٤٢
الفـصل الثـاني: أهـم الأهـداف النقديـة للتـصويبات النبوية لبعض الأخطاء القولية	١١٥٥
أولا: رعاية حال المتكلم	١١٥٥
ثانيا: رعاية حال المخاطب	١١٦١
ثالثا: رعاية المقام	١١٦٦
رابعا: رعاية العرف اللغوي	١١٧٤
الفصل الثالث: تصويبات نبوية قد توهم تعارضا مع أحاديث أخرى	١١٧٨
خاتمـــة	١١٩٠
أبرز مراجع ومصادر البحث	١١٩٤
فهرس الموضـوعات	١٢٠٢